بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي

(358-492/968-1099)

ثروت صالح الخطيب

رسالة
مقدمة إلى
عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستيرفي التاريخ قسم التاريخ .

جامعة مؤته ،2003

جامعــــة مــــؤتة　　　　بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة الدراسات العليا　　　　**اجازة رسالة جامعية**

تقرر اجازة الرسالة المقدمة من الطالبة ثروة صالح الخطيب والموسومة بـ "تاريخ مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي" استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ.

القسم: التاريخ.

الأسم	التوقيع	التاريخ	
د. محمد حسين محاسنة		٢٦/٨/٢٠٠٣	مشرفاً
أ.د. تقي الدين الدوري		٢٦/٨/٢٠٠٣	عضواً
د. محمود الرويضي		٢٦/٨/٢٠٠٣	عضواً
د. سليمان الصرايرة		٢٦/٨/٢٠٠٣	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البداينــــة

الإهداء

إلى والديَّ العزيزين تقديراً لفضلهما إلى جميع إخوتي و أخواتي إلى زوجي العزيز ، إليهم جميعاً أهدي هذا العمل .

ثروت صالح الخطيب

شكر وتقدير

الشكر كله لله سبحانه وتعالى على مساعدتي في اتمام هذه الدراسة كما أتقدم بالإمتنان إلى الدكتور محمد حسين المحاسنه الذي تفضل بالإشراف على هذه الإطروحة وما قدمه لي من توجيهات قيمة وارشادات سديدة مما أوصل هذه الدراسة إلى صورتها النهائية .

وأتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم التاريخ في جامعة مؤتة ، لما أبدوه لي من ملاحظات قيمة أفادت الدراسة ، كما أشكر موظفي مكتبة جامعة مؤتة لما قدموه لي من دعم ومساعدة كذلك أقدم الشكر إلى عمادة الدراسات العليا التي قدمت لي التوجيه والإرشاد طيلة سنين الدراسة.

وأقدم كل احترامي وتقديري لاعضاء هيئة المناقشة لتقديمهم الملاحظات القيمة التي ستثري الدراسة عند إعدادها بالشكل النهائي .

واعترافاً مني بالجميل والعرفان أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأخوين الفاضلين علي صالح الخطيب وعيسى عبد الحفيظ الحرازنه لما قدماه لي من دعم وتشجيع طيلة فترة الدراسه ، فجزاهم الله كل خير .

ثروت صالح الخطيب

قائمة المحتويات

قائمة الملاحق

الملخص

مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي
(1099–968/492-358)
ثروت صالح الخطيب
جامعة مؤتة ، 2003

تحرت هذة الدراسة تسليط الضوء على تاريخ مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي .

قسمت الدراسة إلى مقدمة ، وخمسة فصول ، وقد أستهلت بعرض لمصادر الدراسة .

تناول الفصل الاول جغرافية المدينة وعمرانها ، والتعريف بحدودها وتضاريسها ، ومناخها ، وتوزيع السكان .

أما الفصل الثاني فقد عالج التاريخ السياسي للمدينة ، وفتح الفاطمـــــيين لها .

وركز الفصل الثالث على أهم التنظيمات الإدارية في المدينة خلال العصر الفاطمي كالدواويين والقضاء والحسبة ، ودور هذه المؤسسات في تنظيم شؤون المدينة وإدارتها .

وخصص الفصل الرابع لدراسة النشاط الاقتصادي والإجتماعي في مدينة القدس ، فأشار إلى ملكية الاراضي الزراعيه وأنواعها ، وأهم الصناعات المشهوره في المدينة.

وتضمن الفصل الخامس دراسة الحياة العلمية في المدينة ، وما وصلت إليه من تطور علمي في مختلف العلوم الدينية المختلفة خاصة علوم والفقة ، وتناول أهم الفقهاء الذين برزوا في هذا المجال .

وقد أختتمت الدراسة بخاتمة بُينت فيها أهم النتائج التى أسفرت عنها هذه الدراسة ، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة .

AbstrAct

The Jerslem city Peored Of Fatemi

(1099-968/492-358)

Throt SaLeh AL – Khateeb

Mutah University , 2003

This study investigates the history of Jeroselem during the Fatimid period .

The study comprises an analysis of the main references and studies relevant to the topic , It is divided into five chapters , a conclusion and a bibliography .

The first chapter expioores the following sides a geographical summry about the location , climat , distrbution of population and the effects of these elementes on the economic life of the city .

The second chapter studies the Fatimids conquest in Jereslem and the consequent event and difficulties that preoccupied them .

This exposed the city to faction , distraction and ruin , despite the Fatimids attempts to impose their dominance and create an atmosphere of stability , Jereslem did not enjoy this status for along time .

The third chapter is about the administration of Jereslem , its governors and institutions established by the Fatimids ,such as the post diwan , Al –kharaj diwan and the court system , which followed the Isma'eli.

The fourth chapter deals with the investigations of the economic conditions , which revealed that despite the political instability in that period.

The fifth chapter is assigned to study the cultural life during the period , particularly Qur'anic .

الفصل الأول

دراسة في الجغرافية والعمران

تناولت هذه الدراسة فترة الحكم الفاطمي لمدينة القـدس خـــلال القرنيــــــن(4ــ5هــ/10ــ11م) وقد اجتمعت مجموعة من العوامل دفعت الباحث لهذه الدراسة أهمها :

1ــ قلة الدراسات التاريخية في هذا الموضوع ، فلـــم يولي البـــاحثين عنايتهم لمدينة القدس خلال الفترة المذكورة ، وإذا تناولها أحدهم فبإشـــــارات قليلة لا تغطي تاريخ القدس السياسي والإجتماعي والثقافي .

2ــ التعرف على أهمية المدينة والدورالتاريخي الذي لعبتــه المدينة في العصور الإسلامية المختلفة وأهم الأحداث السياسية التي مرت بها في العصـــر الفاطمي وانعكاس هذه الأحداث على أهل المدينة أو على الدولة الفاطمية.

3ــ من دوافع الدراسة تسليط الضوء على تاريخ المدينة السياسي والتعـــــرف على أهم القوى السياسية التي سيطرت على المدينة ، كحـــكم الفاطميـــين ثم القرامطة والتركمان لتسقط أخيراً بيد الإفرنج .

واشتملت الدراسة على مقدمة وعرض مفصل تضمن تحليل للمصادر والمراجع وخمسة فصول بالإضافة إلى خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة .

فتناول الفصل الأول جغرافية المدينة وعمرانها فأشار إلى تسميتها ، والتعريف بحدودها وتضاريسها ، ومناخها ومياهها ، وتوزيع السكان ، وأهم الجوانب العمرانية فيها سواء كانت عمارة دينية أو مدنية ، وما طرأ عليها من تغيرات خلال العصر الفاطمي.

وجاء الفصل الثاني ليعالج التاريخ السياسي للمدينة ، والسيطرة الفاطمية عليها وموقف القبائل العربية الموجودة في فلسطين من هذه السيطرة، كما أشار إلى أهم الأحداث التي مرت بها المدينة أثناء التواجد الفاطمي ، وما رافقـــه من اضطراب

إجتماعي وتدهور إقتصادي .

كما تحدث عن دخول السلاجقة إلى المدينة وسيطرتهم عليها لمدة قصيرة لتسقط بعدها بيد الإفرنج وتنتهي السيادة الفاطمية عليها ، ووضح هذا الفصل موقف الفاطميين من سقوط المدينة وتحالفهم مع القوى الصليبية الغازية لبلاد المسلمين.

أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة التنظيمات الإدارية في المدينة أثناء الحكم الفاطمي لها كالدواوين والقضاء والشرطة والحسبة ، ودورها في تنظيم شؤون المدينة وإدارتها .

وتضمن الفصل الرابع دراسة للحياة الإقتصادية والإجتماعية في مدينة القدس ، فأشار إلى النشاط الزراعي ، وملكية الأراضي الزراعية وأنواعها، وأهم الأساليب الزراعية المتبعة ، وأشهرالمنتوجات الزراعية فيها ، كما تحدث عن النشاط الصناعي ودور الدولة الفاطمية في تنظيمه والإشراف عليه ، كما تناول أهم الصناعات المعروفة في المدينة كالصناعات النسيجية، والكيماوية ، والصناعات الغذائية وغيرها ، وتضمن ايضاً عرضاً للنشاط التجاري والطرق التجارية التي ربطت المدينة بالمدن الأخرى ، وأهم أسواقها والنقود المتداولة والمكاييل والموازين التي تعامل بها أهل القدس خلال الفترة المذكورة .

وخصص الفصل الخامس والأخير لدراسة الناحية الثقافية ، وما وصلت إليه المدينة من تطور علمي في العلوم الدينية المختلفة خاصة في علوم الحديث والفقه ، فذكرأهم الفقهاء والمحدثين الذين ظهروا في هذا المجال ، كما أشار إلى علوم اللغة والأدب فتحدث عن شعراء المدينة وأدبائها ، وبعض منجزاتهم الثقافية .

واشتمل هذا الفصل ايضاً على دراسة الطب في المدينة والتعريف بالأطباء الذين برزوا خلال هذه الفترة ودورهم وما قدموه لخدمة الطب ، مع الإشارة إلى مؤلفاتهم التي لايزال بعضها يستخدم لأغراض علمية مفيدة .

ولا بد من الإشارة إلى أهم الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء قيامه بهذه الدراسة ؛ فكانت المادة التاريخية مبعثرة في كتب التاريخ والأدب ، وهذا استلزم بذل

للبحث والتنقيب عنها وإخراجها بشكل مناسب ومفيد تتناسب مع منهجية البحث العلمي .

واخيراً فانني آمل أن أكون قد وفقت في تسليط الضوء على مرحلة من المراحل التاريخية التي مرت بها القدس ، والتعريف بأهمية المدينة ودورها الحضاري في المنطقة ، والدور الديني والقيادي الذي لعبته خلال الفترة المذكورة.

أولاً: جغرافية المدينة

أ ـ تسمية المدينة

القدس في اللغة :

القدس مشتقة من التقديس والتبريك(الفيروزابادي ، 1985، المقدسي ،2000) ، وتقدس أي تنزه عما لا يليق به(الحموي ، 1990، السيوطى ،1982) ، ونقدس لك أي نطهر أنفسنا لك ونفعل ما أطاعك (الحموي ، 1990) ، والأرض المقدسة الطاهرة دمشق ، وفلسطين والأردن ، ومنها بيت المقدس(ابن الجوزي ،1980 ، الجراعى ،1981 العليمي،1973) .

وقد سميت مدينة القدس بأسماء كثيرة عبر العصور التاريخية المختلفة ، وأقدم تلك الأسماء الاسم العربي الكنعاني (مدينة السلام) ، وسميت بذلك نسبة إلى سالم أو شالم– شاليم بمعنى اله السلام (ابن منظور ،2000 ، الزبيدى،1980 ، الحموي ، 1990) .

وقد ورد ذكرها في النصوص العربية القديمة التي ترجع إلى القرن التاسع عشر ق.م فوردت باسم اورو– سالم أو اوروشالم ، وهي تتكون من مقطعين هما : اورو ، وهي كلمة سومرية تعني السلام ، وتشالم أو شالم وهو إله السلام عند الكنعانيين ، فيكون معنى الكلمة إله السلام(الدباغ، 1975، الشريقي ، 1985) ، وقيل أيضاً أن الاسم اورو بمعنى أسس أو انشأ ، وسالم أو شالم وهو إله سامي قديم ، فيكون معنى الكلمة أسس سالم أو دع سالم يؤسس أي يبني (الدباغ ،1987) .

وقد سميت القدس أيضاً مدينة السلام نسبة إلى ملكي صادق الذي أقام فيها بيتاً لعبادة الله ، وأحبه ملوك الشام فدفعوا إليه المال ليعمر بيت المقدس ، فلما عمرها سماها بيت السلام فاتفقوا على طاعته وأن يكون ملكي صادق ملكاً عليهم ، فلقبوه

وقد ذكر العليمي:أن" أول من بناها هو سام بن نوح عليه السلام ، وكان ملكاً عليها وكان يلقب مليكا صادق، ومعناها بالعبرانيةملك الصدق" (العليمي ،1973، ص8) .

وقد ظهرت المدينة باسم جديد إلى جانب الاسم القديم في الكتابات الهيروغليفية المصرية باسم(يبوس)، وهو الاسم الذي أطلقه عليها سكانها اليبوسيون ، وهم إحدى القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية مع الكنعانيين ، واستقرت في التلال

وقد ظهرت المدينة باسم جديد إلى جانب الاسم القديم في الكتابات الهيروغليفية المصرية باسم(يبوس)، وهو الاسم الذي أطلقه عليها سكانها اليبوسيون ، وهم إحدى القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية واستقرت في التلال المشرفة على المدينة القديمة ، واتخذت القدس عاصمة لها(العسلي ،1988،المرعشلي، 1948) .

أما اليهود فقد سموها يروشاليم أو أورشليم(الكتاب المقدس ، 1993) ، وهي كلمة عبرانية مشتقة من الأصل العربي وتعني بيت الرب(البغدادي ، 1993، العليمي،1973) ، أو بيت السلام(المقدسي ،1964)، وقد وردت المدينة فيما بعد باسم روشا ليوم وذلك في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة (نصوص اللعنة : نصوص تاريخية ترجع إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م ، وتذكر أسماء ملوك كنعانيين وعموريين كانوا يحكمون المدينة ويعادون الدولة المصرية ، المرعشلي ، 1948) ، واستمرت المدينة تحمل اسم يبوس حتى تمكن داوود في سنة 997 ق . م من الاستيلاء عليها وتغيير إسمها العربي إلى مدينة داوود (الدباغ ،1987 ، غازي ، 1998)، وعندما جاء اليونان أطلقوا على المدينة اسم هيروسوليما(الدباغ ،198 ، سترانج ،1970) .

وفي العصر الروماني تولى الإمبراطور هدريان الحكم فقام بطرد اليهود من المدينة سنة 130م ، وأطلق عليها اسم إيلياء كابتولينا (ستراتج ،1970) .

وقد بقيت المدينة تحمل اسم إيلياء حتى قدوم المسلمين إليها أثناء الفتوحات الإسلامية ، وقد وردت إيلياء في الأمان الذي منحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهلها في السنة الخامسة عشرة للهجرة(الواقدي ، 1980 ، ابن سعد ، 1990) ، ووردت في شعر الفرزدق الشاعر الأموي ، حيث قال:

وبيتان بيتُ الله نحنُ بناته   وقصرٌ بأعلى إيلياء مشرف.

وبعد الفتح الإسلامي للمدينة أطلق عليها المسلمون اسم مدينة القدس و بيت المقدس، وقد ورد هذا الاسم عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين(ابن الفقيه ، 1988 ، البكري ، 1984 القزويني، 1960 ، ابن خرداذبة ، 1889 ، الإدريسي ، 1998 ، العليمي ، 1973) .

وقـــد أصبح اسم مدينة القدس بعد ذلك هو الأكثر شيوعاً خاصة في العصور الحديثة ، وسميت القدس لقدسيتها ومكانتها عند أصحاب الديانات السماوية .

وفـــي العهـــد العثمانـــي أطلق عى المدينة اسم القدس الشريف(شعث، 1980) ، وســـميت بالمسجد الأقصى الذي ورد ذكره في الآية الكريمة :(سبحان الذي أسرى بعـــبده لـــيلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتـــنا انه هو السميع البصير)(سورة الإسراء ، الآية 1) ، وسمي بالمسجد الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام(العليمي ،1973) .

ومن خلال الأسماء التي أطلقت على مدينة القدس منذ بداية تاريخها ، فان العرب الكنعانيين أعطوها جل أسمائها وبقيت تحمل الأسماء العربية الكنعانية على مدى التاريخ القديم ، حتى بعد أن جاء اليهود واحتلوا المدينة فإن أسماءها السابقة لم تندثر ولم تضيع ، بل إن الاسم الذي اشتقه اليهود كان تحريفاً عن أسمائها العربية الكنعانية مع تحويل السين إلى شين لتناسب لغة اليهود .

ب ــ الموقع والحدود

تتمتع مدينة القدس بموقع جغرافي مهم ضمن إقليم المرتفعات الوسطى من فلسطين وتقع على خط طول 35درجة و13 دقيقة شرقي غر ينتش، وعلى درجة عرض46 دقيقة و31 درجة شمالاً ، مرتفعة نحو830 متراً عن سطح البحر في خطوط مستقيمةعلى بعد 25 كيلو مترعن البحر الأبيض المتوسط(المرعشلي ، 1948) .

أما بالنسبة لحدود المدينة فذكر العليمي: أن" المدينة تمتد من بلدة سيدنا الخليل عليه السلام يفصل بينهما قرية سعيد وما حاذاها ، ومن عمل القدس حتى نهرالأردن في الشرق ومن الشمال قرية سنجل وهي من عمل مدينة نابلس وتمتد إلى وادي بني زيد وهو من أعمال الرملة ، أما من الغرب فهي تمتد من قرية بيت نوبة وهي من

أعمال القدس حتى مدينة عجور وهي من أعمال غزة " (العليمي ،1973) .

وقد أشارت المراجع الحديثة إلى حدود المدينة فتمتد من قرية سنجل في الشمال(الدباغ ، 1075) إلى قرية كفر عطية في الشمال الغربي(الدباغ ، 1075) ، ومن تقوع في الجنوب الشرقي(نقولا ، 1984) إلى بيت نتيف في الجهة الجنوبية الغربية باتجاه قرية بيت سوسين في الجهة الغربية(الدباغ ، 1075) ، ومن قرية دير بني عبيد إلى الأردن في الجهة الجنوبية الشرقية (عربيات ، 2001) .

جـ ـ التضاريس

أقيمت مدينة القدس القديمة في الجهة الجنوبية لجبل موريا(ابن حوقل ، 1983) ، وقد بنيت المدينة على تلال الظهور التي تطل على قرية سلوان والتي كانت تعرف باسم (تل اوفيل) وقد ساعدها هذا الموقع الحصين على تسهيل عمليات الدفاع عنها أمام أي خطر خارجي(الدباغ ، 1985) .

وتتكون تضاريس مدينة القدس من الأقسام التالية :

1ـ الجبال

تشـــكل السلاســـل الجبلـــية التي تقع ضمنها المدينة المقدسة موقع متوسط بين مجموعـــة جـــبال الجلـــيل في الشمال، ومرتفعات النقب في الجنوب ، وبين حفرة الانهدام و البحر الميت في الشرق ، والسهل الساحلي في الغرب(المرعشلي ، 1948) ، وقد ساعدها ذلك على وجود مرتفعات شديدة الإنحدار نحو الشرق ، وسفوح تنحدر بالتدريج نحو الغرب(الدباغ ، 1985 ، عربيات ، 2001) .

أـ جبل موريا

أقيمت مدينة القدس القديمة في الطرف الجنوبي منه ، ويقام عليه مســـجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك(بورشارد ، 1995)، وقد ذكر بورشـــارد ان جبل موريا أكثر ارتفاعاً من المدينة المقدسة (فورزبورغ ، 1998) .

ب ـ جبل الطور (جبل الزيتون) (المقدسي ،1906 ، إبراهيم ، 1985) .

ويقع في الجهة الشرقية من القد س (ابن العربي ، 1418 ، بورشارد ، 1995) ، ويشرف على المسجد الأقصى ويسمى جبل بيت المقدس(السيوطي ، 1982)، وهو أعلى جبال المدينة (بورشارد ، 1995) ، وقد ورد ذكره باسم جبل زيتا(العليمي ، 1973).

ج ــ جبل النبي صموئيل

ويقع شمالي القدس حيث يرتفع عن سطح البحر نحو 885 م(الدباغ ، 1985) ، وقد نسب إلى النبي صموئيل المدفون فيه(هو آخر ملوك بني إسرائيل الذين اختـــارهم الله ليخلص شعبه ، مارس السياسة والدين وكانت مدة قضائه لبني قومه اثنا عشر سنة) ، الكتاب المقدس ، 1993 ، بورشارد ، 1995) .

دــ جبل بطن الهوا

يسمى الجبل الفاضح(بورشارد ، 1995) ، ويقع في الزواية الجنوبية الشرقية لمدينة القدس مجاوراً لجبل الزيتون(زايد ، 1974) .

هــ ــ جبل المكبر

يعرف باسم جبل النوري، ويقع في جنوب القدس ويفصل بينه وبيـــن جبل الطور وادي سلوان ، ويرتفع جبل المكبر نحو 795 متراً عن سطح البحر(الدباغ ، 1975) .

و ــ جبل الباطن

يقع شمالي القدس ويرتفع عن سطح البحـــــر حوالي830 متر(ابو حمود ، 1984) .

ز ــ جبل الرأس

يقع إلى الجنوب من القدس ويرتفع عن سطـــح البحر 800 متر(ابو حمود ، 1984) .

2ــ السهول

نظـــراً لـــتعدد جـــبال وأوديـــة القـــدس يندر حديث المصادر التاريخية عن السهول(عربيات ، 2001 ، اليعقوب ، 1999)، غير أن هناك بقع منخفضة يمكن أن نعتبرها جـــزءا مـــن المناطق السهلية ، ومن هذه المناطق سهل الساهرة والذي تحدث عنه ناصر خسرو أثناء زيارته لمدينة القدس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فذكر أنه يدعى سهل الساهرة (خسرو ، 1979) .

وقد أشار العليمي إلي أن هذا السهل أو البقيع يقع إلى جانب طور زيتا (جبل الزيتون) من جهة الغرب، وأن التسمية جاءت من الفلاة أو الأرض العريضة وهي ارض المحشر(العليمي ، 1973) ، وتوجد في هذا السهل مقبرة دفن فيها بعض أموات المسلمين من الصالحين(المقدسي ، 1906 ، السيوطي ، 1982 ، العليمي ، 1973) .

3 ـ الأودية

توجـد الأوديـة حول مدينة القدس ، فتتجمع فيها مياه الأمطار الساقطة على الجبال والمرتفعات وخاصة المرتفعات الشرقية لتصب في نهر الأردن ونهر روبين ومن ثم البحر الميت (الدباغ ، 1985) ، وتنقسم الوديان إلى الأقسام التالية:

أ ـ أودية تقع حول المدينة وتتكون من واديان هما: وادي جهنم ، ووادي الجوز ، فوادي جهنم اسمه القديم وادي قدرون، وقد أطلق عليه العرب أسم (وادي سلوان أو وداي ستي مريم ، أو وادي النار)(سايولف ، 1997 ، الدباغ ، 1985).

وقد عرف هذا الوادي عند الرحالة المسلمين باسم وادي جهنم(نقولا ، 1981) ، وقد ذكره الواسطي باسم وادي يهوشافط(الواسطي ، 1984) ، وتكثر في هذا الوادي البساتين والكروم والكنائس والمقابر، وفيه مصلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه(زايد ، 1974) .

ب ـ الأودية الشرقية التي تصب في نهر الأردن ، وهي على النحو التالي :

1ـ وادي العوجا

وتتجمع فيه المياه التي تسقط على تلال قرى كفر مالك ودار جرير، وبعد التقائه بعين العوجا يسمى وادي العوجا(ابو حمود ، 1984).

2ـ وادي النويعمة

يقع شمال شرق القدس وينتهي بالبحر الميت (خمار، 1996) .

3ـ وادي القلط

يقع الوادي شرق مدينة القدس ويبدأ من البيرة ثم يمر في أريحا، وينتهـي في نهر الأردن (خمار، 1996).

4ـ وادي الجوز

يمتد شمال القدس ملتقياً بوادي جهنم ليصب في البحر الميت(ابو حمود ، 1984) .

جـ ـ الأودية التي تصب في البحر الميت

1ـ وادي المعلق

يبدأ جنوب شرقي بيت لحم ، ويلتقي بوادي منيع الحصن مشكلاً معه وادياً يلتقي بوادي شاش الذي يصب في البحر الميت(خمار، 1996) .

2 ـ وادي مكلك

يعتبر أقصى وادٍ من جهة الشمال ويصب في البحر الميت ، ويحمل مياه الأمطار من مرتفعات قرية أبي ربين لتنتهي في البحر الميت(الدباغ ، 1975) .

د ـ أودية غربية تنقل مياه الأمطار من سفوح مرتفعات القدس إلى السهل الساحلي الفلسطيني عبر نهري روبين والعوجا ، وهي على النحو التالي :

1ـ وادي جريوت

ينسب إلى قرية جريوت ويحمل مياه الأمطار من مرتفعات قرى بيتونيا ، وبيت عور التحتا، وبيت عور العوجا ويرفده واديان هما : الدلب والنطوف(الدباغ ، 1975) ، ويصب هذا الوادي في نهر العوجا(طوطح ، 1933) جنوبي يافا(الدباغ ، 1985، ابو حمود ،1984) .

2ـ وادي الوادي أو الواد

يقع إلى الغرب من المدينة، ، وقد أطلق المؤرخ اليهودي يوسيفوس اسم تيربيون على الوادي ، وهي كلمة معناها (صانعو الجبن) ، وذكره البعض باسم وادي الروث ـ الزبل ، وهو يمتد عند ملتقى وادي جهنم بوادي الربابة إلى الشمال (الدباغ ، 1985) .

هـ ـ المياه

أشارت المصادر التاريخية إلى وجود أربعة مصادر للمياه في مدينة القدس ، وهي على النحو التالي :

1ـ مياه الأمطار

أشار المؤرخون والرحالة المسلمون الذين زاروا مدينة القدس إلى أن مياهها هي من الأمطار(الاصطخري ، 1973) ، وان مياه الأرض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس(ابن الفقيه ، 1983 ، الظاهري ، 1849)، فيقول ناصر خسرو: أن " مياهها أعذب وأنقى من أي ماء آخر "(خسرو ، 1973 ، ص63)، أما العليمي فيرى أن فيها الخير و النفع لشاربها (العليمي ، 1973) .

وتتأثر كمية الأمطار في مدينة القدس بقربها من البحر ، حيث يساعد على سقوط الأمطار فيها ، وهذا ما يجعلها رغداء تعيش مزارعها غالباً معتمدة على مياه الأمطار .

2 ـ مياه العيون

كان أهل القدس القديمة يعتمدون على مياه الأمطار ، ومع مرور الوقـــــت وازدياد سكان المدينة واحتياجهم للمياه إعتمدوا على مياه العيون الموجــودة داخــل المدينة ، وهذا ما أكدته المصـــــادر التاريخـــــية التي ذكـــــرت:" أن المدينة لا يوجـــــد فيها ماء جار ســـــوى العيـــون التي لا تتسع لري مزروعاتهم "(الاصطخري ، 1973 ، ص56 ، ابن حوقل ، 1938 ، ص71).

وقد وجد في مدينة القدس مجموعة من العيون أهمها :

أ ـ عين سلوان

أقدم عين وجدت في القدس القديمة ، وتسمى قديما بعين أم الدرج ، وسميت بذلك لأن الإنسان ينزل إليها بدرجات عديدة إلى كهف طبيعي عند منتصف وادي جهنم (القزويني ، 1960 ، الدباغ ، 1985 ، اليعقوب ، 1999).

وتقع العين بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بوادي جهنم الذي يشرف على سور المسجد القبلي (خسرو ، 1979 ، السيوطي ، 1982 ، ابن الجوزي ، 1979) ، وقد وصفها المؤرخون بأنها عين عذبة تسقي جناناً عظيمة وقفها عثمان بن عفان رضي الله عنه على ضعفاء بيت المقدس(خسرو ، 1979 ، المقدسي ، 1906) .

ب ـ عيون أرطاس

وهي مجموعة من العيون تقع خارج مدينة القدس وتشمل عيون عطاف ، الفروجه ، عين صالح ،عين البرك وتلتقي جميعها بمياه برك سليمان(اليعقوب ،1999).

ج ــ عين العليق

تقع قرب قرية بدو ، شمال غرب القدس(السعيد ، 1995) .

د ــ عين فاره

تقع على بعد 10كم شمال شرق القدس في وادي فاره (العارف ، 1955).

3ــ مياه الآبار

تحدثت المصادر التاريخية عن وجود الآبار في مدينة القدس ، فقد كان أهل القدس يحفرونها لتجميع مياه الأمطار فيها إلى وقت الحاجة وأطلقوا عليها اسم الصهاريج والأحواض(المقدسي ، 1906 ، خسرو ،1979) .

وذكر المقدسي:" في كل بيت من بيوت المدينة و حاراتها قل ما يوجد صهريج أو جب مسيل يستخدم لتجميع المياه فيه" (المقدسي ، 1906 ، ص145).

وتتكون مياه الآبار في مدينة القدس من الأقسام التالية :

أ ــ آبار الحرم القدسي : تتجمع فيها مياه الأمطار لينتفع بها النـــاس وحتى لا تضيع تلك المياه تستخدم الأحواض الحجرية المثقوبة لينزل الماء فيها ويصب في الصهاريج بواسطة قنوات بينهما(خسرو ،1979).

ب ــ بئر الرمانة : ضمن مسجد قبة الصخرة الشريفة ، وكان يســتخدمه أهالي القدس عامة وزوار المدينة المقدسة(عربيات ، 2001) .

ج ــ بئر العنزية : يوجد داخل الحرم الشريف وهو جـــار في وقف الصخرة الشريفة(العسلي، 1981) .

دــ بئر أيوب: يقع قرب عين سلوان وينسب إلى سيدنا أيوب عليه السلام، وذكر العليمي أن أهالي القدس حفروا هذا البئر بعد أن ضاق الماء في المدينة ، وان مياهه باردة وخفيفة وتفيض في فصل الشتاء(العليمي ، 1973) .

وأشار العارف إلى وجود مجموعة أخرى من الآبار توجد داخل المدينة المقدسة ويستقي منها أهالي القدس وزوار الأماكن المقدسة ، ومن هذه الآبار : " بئر الورقة ، بئر الغوانمه، بئر أبي السعود، بئر الزيتون " (العارف ، 1947) ، ولعلها آبار تم حفرها في العصر الحديث بسبب ازدياد الناس وازدياد الحاجة إلى الماء .

د ـ المناخ

تقع مدينة القدس بين خطي طول(15َ و35ْ) و(40َ و35ْ) شرق غر ينتش وخطي عرض(30َ و29ْ) و(15َ و33ْ) شمال خط الاستواء(الشاعر ،1970) .

وقد أشارت الموسوعة إلى وقوع المدينة على درجة عرض(46ْ ، 31ْ) شمالاً وخط طول (14ْ ـ 35ْ) شرقاً(المرعشلي ،1948)، ويسود المدينة منـاخ المنطقة المتمثل بمناخ البحر المتوسط المعتدل شتاءً والحار صيفاً(البحيري ، 1973).

ويتميز مناخ المنطقة بوجود فصلين هما

1ـ فصل الشتاء: ويبدأ من تشرين الأول ويستمر حتى أيار(الطراونه،1983)، وتتعرض المنطقة خلاله لهبوب الرياح العكسية الغربية الرطبة مما يتسـبب في سقوط الأمطار والثلوج عليها ، وتقل هذه الأمطار كلما اتجهنـا شرقاً حيث يبـلغ معدل سقوطها حوالي(58 سم) (النحال ، 1966) .

2 ـ فصل الصيف: وهو فصل جاف يبدأ من شهر حزيران وينتهـي فـي شهر أيلول(الطراونه ، 1983)، وتتعرض المنطقة خلاله لهبوب الرياح الشمـالية والشمالية الشرقية وهي رياح جافة(النحال ، 1966 ، اليعقوب ، 1999).

وهناك فصلان انتقاليان هما الربيع و الخريف اللذان يصحبهما رياح شرقية جافة محملة بالرمال والأتربة تهب بين شهري نيسان وحزيران، وشهري أيلول وتشرين الأول(خمار ،1996 ، دانستيغ ، 1985).

أما درجات الحرارة في مدينة القدس فتتراوح بين(7و9ْ) درجة مئوية في ابرد شهور السنة وهو شهر كانون الثاني و(25ْ) درجة مئوية في اشدها حرارة وهو شهر آب(الشاعر ،1970، اليعقوب ، 1999) .

المدينة ومن هؤلاء المغاربة الذين شكلوا عنصراً مهماً من عناصر الجيش الفاطمي(الدواداري ، 1961)، وأقاموا في جبل الطور ، وأطلق على الحـــي الذي سكنوا فيه بمدينة القدس اسم(حي المغاربة) ، ولا يزال هذا الاسم إلى يومنا الحاضر(المدني ، 1996).

ونجد في مصادر تاريخية متأخرة إشارات إلى عناصر أخرى تواجدت في مدينة القدس أثناء الحكم الفاطمي لها وهي : الديلم(ابن اياس ، 1984)، والأرمن(ابن خلدون ، 1980)، والصقالبة والروم(التطيلي ،1949، المقريزي ، 1982).

ويمكن تقسيم السكان في مدينة القدس إلى الطبقات التالية(الحياري ، 1994)

أـــ طبقة الحكام : وتشمل الوالي وكبار رجال الإدارة ، وكان الوالي قائداً للحامية العسكرية ومعه كبار رجال الإدارة في المدينة ، إضـــــــافة إلى أفراد الحامية العسكرية الفاطمية التي تتكون من الأتـــــــراك (الفرسان) والبربر والمغاربة .

ب ـــ طبقة التجار وكبار الحرفيين : وهؤلاء كانت لهم أسواق متخصـــصة بأنواع معينة من السلع والمنتوجات .

ج ـــ طبقة العامة : وتشمل فئات المجتمع من المزارعين وطبقات التجار .

وكان المسلمون السنة يشكلون غالبية سكان المدينة ويدينون بالمذهبين الحنفي والحنبلـــي(المقدسي ،1906، ابن الأثير ، 1978 ، عباس ،1990) ، ولما فتح الفاطميون المدينة حاولوا نشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي فاعتنقه بعض سكان المدينة ، ونتيجة الحكم الفاطمـــي للمدينة فقد اخذ المذهب الشيعي الإسماعيلي ينافس مذاهب أهل السنة في المدينة(المقدسي ،1906).

وتحدثت المصادر التاريخية عن علاقة أهل المدينة السنة بالدولة الفاطمية فذكر ابن القلانسي أنه حدث صدام بين الفاطميين وعلماء القدس فقام العالم أبو بكر النابلسي(أحد علماء الشام وكان رئيس لمدينة الرملة خلال تلك الفترة ، وعندمـــا علم أبو محمود الكتامي القائد الفاطمي بتحريضه ضد الفاطميين أرسله إلى المعز بالقاهرة ، الذهبي ، 1989) بالتحريض على الفاطميين وأمر بقتالهم بقوله :" لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة بالفاطميين وواحداً بالروم "(ابن القلانسي ، 1983، ص10).

وأشار الذهبي إلى أن الخليفة المعز أمر بمنع صلاة التراويح في المساجد وأمر بتطبيق ذلك بالقوة في بلاد الشام (الذهبي ، 198، السيوطي ، 1953) ، مما كان له أثر سلبي على جميع المسلمين في البلاد (الأنطاكي ، 1990) .

ويبدو مما تقدم أن الفاطميين اهتموا كثيراً بنشر المذهب الشيعي الذي يدينون به وحاولوا في كثير من الأحيان استمالة أهل السنة إلى مذهبهم ، فقد كانوا يعملون على الترويج له ، لكن هذه السياسة تغيرت زمن الخليفة الظاهر ومن بعده المستنصر بالله فقد سمح هؤلاء للمسلمين بممارسة حريتهم الدينية وجعلوا معظم قضاة الشام من أهل السنة(سرور ، 1970) .

4 ـ طبقة أهل الذمة: وكانت تشمل اليهود والنصارى ، فقد ذكر المقدسي وجودهم كعنصر مهم من عناصر السكان في مدينة القدس خلال هذه الفترة فقد سكن هؤلاء مدينة نابلس والرملة والقدس(التطيلي ، 1949) ، فكان أكثر الجهابذة والصباغين والصيارفة هم يهود، وأكثر الأطباء والكتبة نصارى(المقدسي ، 1906) .

ونتيجة لسياسة التسامح الديني التي اتبعها الخلفاء الفاطميين مع أهل الذمة فقد ازداد نفوذهم داخل الدولة فتبؤوا الكثير من المناصب العليا وأصبحوا كالوزراء(المقريزي، 1070) .

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله طبقت عليهم الشروط العمرية سنة(395هـ/ 1004م) وذلك بأن يلبس اليهود الزنانير الملونة جلها أسود في أوساطهم والعمائم سود على رؤوسهم ، كما أمرهم بتعليق كرات خشبية ثقيلة في أعناقهم ، أما النصارى فأمرهم بأن يحملوا في أعناقهم صلباناً ثقيلة طولها ذراع وزنتها خمسة أرطال(الأنطاكي ، 1990 ، ابن خلكان ، 1969) .

وقد ازداد تعصب الحاكم بأمر الله لأهل الذمة لمبالغتهم بالإحتفال بأعيادهم الدينية ، لذلك أمر بهدم كنائسهم الدينية وبيع ما فيها في الأسواق(الأنطاكي ،1990) وأجبرهم على الدخول في الإسلام أو الهجرة إلى بلاد الروم والإلتزام بجميع الشروط التي أصرها ضدهم(الأنطاكي ، 1990 ، ابن خلكان ، 1969)، مما دفع الكثير منهم

الهجرة إلى مصر والشام وغيرها من البلاد الخاضعة لحكم الدولة البيزنطية(الأنطاكي ،1990 ، المقريزي، 1070 ، رنسمان ،1967) ، بينما استجاب بعضهم لشروط الخليفة فدخل في الإسلام(الأنطاكي ،1990).

وفيما بعد تراجع الخلفاء الفاطميين عن هذه السياسة في عهد الخليفتين الحاكم بأمر الله والظاهر لإعزاز دين الله حيث سمح لأهل الذمة بممارسة شعائرهم الدينية وتجديد كنائسهم ومنحهم الأمان(الأنطاكي ،1990)، كما ألغي المرسوم الذي يقضي بارتدائهم ثياباً تميزهم عن غيرهم(الصوري ، 1959)، فسمح لهم ببناء مساكن مجاورة إلى جانب المسلمين دون انعزالهم داخل أحياء خاصة بهم(ابن القلانسي ، 1983 ، المقريزي، 1073) .

ومما تقدم يمكن القول أن العصر الفاطمي امتاز بالتسامح الديني تجاه أهل الذمة لذلك أطلق عليه اسم العصر الذهبي بالنسبة لهم .

ثانياً : العمران

العمران في مدينة القدس يتمثل بما فيها من إضافات إلى الأبنية الدينية والمدنيةمن مساجد وبيوت وأسواق ومحلات وخانات وحمامات وأضرحة ، كما يتمثل في السور الذي يضم كل هذا العمران والقلعة التي تحميه .

ولا بد أن تتأثر العمارة بالأوضاع السياسية والعسكرية التي تتعرض لها المدينة فكثرت الحروب والفتن تؤدي إلى تراجع العمران ، بينما توفر الأمن والإستقرار في المدينة يؤديان إلى إزدهار العمران وتطوره ، وقد تأثرت القدس بظروف الفتح الفاطمي وما نجم عنه من إضطراب سياسي ، وتدهور إقتصادي مما أدى إلى تراجع العمران فيها .

أ ــ العمارة المدنية

تتمثل العمارة المدنية بما في المدينة من أسواروابواب ، وأحياء سكنية ، وأسواق وشوارع ، وحمامات ، وزوايا ، ومدارس وغيرها.

1ــ أسوار المدينة وأبوابها

يعود بناء سور مدينة القدس القديم إلى عصور إسلامية مختلفة ، تعرض خلالها إلى كثير من عمليات الهدم والبناء ، وتعرض السور في العصر الفاطمي إلى سقوط أجزاء منه وذلك أثر الزلزال الذي حدث في الشام سنة(425هـ/1034م) مما دفع الخليفة الظاهر إلى ترميم الأسوار(ابن الجوزي ، 1358).

أما أبواب المدينة فهي موجودة داخل السور القديم لتحصين المدينة ، وتسهيل الدفاع عنها ، وقد وجد في المدينة مجموعة من الأبواب أهمها(المقدسي ، 1906) :

باب العمود، وباب الخليل ، وباب المغاربه ، وباب محراب داوود وغيرها .

2ـ الأسواق والشوارع

تقفل بأبواب في مداخلها ومبلطة بالحجارة(خسرو ، 1979 ، المقدسي ، 1906) ، ويختص كل سوق بأصحاب مهنة واحدة وكان أكثر الأسواق في المدينة مغطاة بالخشب أو بالمعدن ، وتقوم على أطرافها الدكاكين(المقدسي ، 1906 ، القلقشندي ، 1987).

3ـ الدور

وصف المقدسي منازل القدس فقال :"بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بنائها" (المقدسي ، 1906 ، ص166) .

وتأثرت الدور بحوادث القدس وتعرض بعضها للدمار والتخريب ، كما حدث في سنة(407هـ/1016م) عندما وقعت زلزلة هدمت الكثير من المنازل القريبة من المسجد الأقصى مما أدى إلى هلاك الكثيرين من أهل المدينة(العليمي ، 1973).

ب ـ العمارة الدينية

1ـ المساجد

أ ـ المسجد الأقصى المبارك

يقع في الجزء الشرقي من مدينة القدس ، وقد بني في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(المقدسي ، 1906 ، السيوطي ،1982 ، العليمي ، 1973) ، وهو من أحسن المساجد المعروفة في الإسلام ولا يوجد مسجد أكبر منه(خسرو ، 1979) .

وقد ذكر المسجد الأقصى في القرآن الكريم بقوله تعالى :" سبحان الذي أسرى

بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " (سورة الإسراء ، آية1) . يبلغ طول المسجد754 ذراع ، وعرضه455ذراع(ابن بطوطة ، 1978) وكان للمسجد عدة ابواب هي

باب الأسباط(السيوطي ، 1982 ، العليمي ، 1973) ، وباب حطة(المقدسي ، 1906 ، خسرو ، 1979 ، السيوطي ، 1982 ، العليمي ،1973) ، وباب السلسلة (المقدسي ، 1906 السيوطي ، 1982 ، العليمي ،1973) ، وباب شرف الأنبياء(السيوطي ، 1982 ، العليمي ، 1973) .

ويوجد في المسجد أربعة منائر أحدها للمتطوعة ، ومنارة للمرتزقة ، وثلاث مقاصير للنساء مخصصة للصلاة فيها(ابن الفقيه ، 1988).

وقد حفرت في أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة بنيت من الحجر الصلب ، وتستخدم هذه الأحواض لتجميع مياه الأمطار فيها(خسرو ، 1979) .

ويوجد داخل المسجد محرابان هما(السيوطي ،1982)

1ــ محراب داوود عليه السلام : يقع داخل المسجد في سور المسجد الشرقــي .

2ــ محراب عمر رضي الله عنه : وهو مجاور للباب الكبير الذي يدخل فيه إلى المسجد الأقصى ، ويقع في الرواق الشرقي المتصل بجوار المسجد الأقصـــــى .

وزين المسجد بالفسيفساء والرخام والكتابات العربية فأصبح مثالاً للروعة والجمال وحافظ المسجد على بنائه وروعة زخارفه حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حيث تعرض المسجد في العصر الفاطمي إلى حريق أدى إلى سقوط قطعة من محراب داوود وقطعة من مسجد إبراهيم عليه السلام ، كما سقط تنور قبة الصخرة وفيه خمسمائة قنديل(العليمي ،1973).

وقد تعرض المسجد أيام الفاطميين للكثيرمن التغيير ففي سنة(425هــ/1043م) حدث زلزال نتج عنه سقوط حائط بيت القدس(ابن الجوزي ، 1992) ، وقد تأثر المسجد بذلك فقام الخليفة الظاهر بترميم الأسوار ، وتعمير المسجد وتوسيعه (محاسنه ، 2003).

ب ــ مسجد قبة الصخرة

مدينة القدس في وسط الحرم الشريف وحول الصخرة المشرفة ، ويعود بناؤه إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة(65ـ866هـ/685ـ704م) (اليعقوبي ، 1968 المقدسي ،1906 ، ابن الفقيه ،1988 ، المقدسي ،1964 ، العليمي ، 1973).

المسجد مثمن منتظم (المقدسي ،1906)طول ظلعه(60.20متراً) ، وارتفاع الجدران الخارجية للبناء (5.9مترا) ، وفي وسط هذا المثمن مثمن أخر من القواعد والأعمدة ويوجد مثمن داخلي فيه أربعة دعائم وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة ، بحيث تشكل معاً دائرة ، وتربط بين الدعائم والأعمدة والأقواس التي أقيم فوقها رقبة (عنق) لتحمل القبة التي تعلو الصخرة(ابن الفقيه ،1988).

وتقع القبة في وسط المسجد ، وهي غير منتظمة الشكل لا هي مدورة ولا هي مربعة ، ويبلغ ارتفاعها عشرون ذراعا ، ومحيطها مائة ذراع (خسرو ، 1979)، وقطرها44.20متراً ، وتتكون من طبقتين أحدهما داخلية من الخشب وأخرى خارجية وهي العليا ومكسوة بصفائح من النحاس المذهب(ابن الفقيه ،1988).

وقد بنيت القبة من الحجارة الزرقاء ، وقد زينت أرضها بالفسيفساء وأرضها بالسجاد المصنوع من الحرير ، وفي وسطها قناديل من فضة (خسرو ، 1979).

وسقف القبة مكسو بالرصاص، وكذلك الدعائم والعمد والحوائط ، أما الصخرة فقد أحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد إليها، ولها أربعة أبواب كبيرة مصنوعة من خشب الساج وهي مقفلة دائماً (خسرو ، 1979).

ويشتمل المسجد على لوحات فنية رائعة توجد على جدران البناء الداخلية والخارجية فكان البناء مغطى بالذهب والفسيفساء المتعددة الألوان ، كما توجد رسوم وأشكال هندسية ، إضافة إلى الكتابات القرانية بالخط الكوفي بحيث ظهرت في غاية الروعة والجمال(المقدسي ، 1906). وقد تعرض المسجد خلال العصر الفاطمي إلى دمار أثرسقوط تنورقبة الصخرة المشرفة وكان فيه خمسمائة قنديل(المقريزي ،1967 ، السيوطي، 1982)، فتطير الناس من ذلك أي تشاءموا ، ثم انشقت صخرة بيت المقدس نتيجة

زلزال أصاب بلاد الشام ومصر(ابن الجوزي ، 1992 ، العليمي، 1973) .

ومن المساجد الأخرى التي وجدت في المدينة خلال العصر الفاطمي ما يلي :

1ــ مسجد عمر : يقع داخل المسجد عند زاويته القبلية من الشرق وسمي بذلك لأنه من بقية بناء عمر رضي الله عنه(العليمي ، 1973) .

2 ــ مسجد المغاربه : يقع بظاهر المسجد الأقصى من جهة الغرب في صحـــــــن المسجد ، وكانت تقام فيه صلاة المالكية(العليمي ، 1973).

2 ــ الزوايا

وجد في مدينة القدس في العصر الفاطمي مجموعة من الزوايا التي استخدمت للاغراض التعليمية ومنها:

أ ــ الزاوية الغزالية : أنشئت في العصر الفاطمي وأقامها أبو حامد الغزالـــي فوق الباب الذهبي (باب الرحمة) فسميت الزاوية الغزالية نسبة إليه ، وكان الغزالي يدرس ويحدث بها(العمري ، 1924) .

3 ــ الكنائس

ضمت مدينة القدس مجموعة من الكنائس الخاصة بأهل الذمة من اليهود والنصارى ومن أهم هذه الكنائس :

أــ كنيسة القيامة

بنيت في وادي جهنم ، وكانت تسمى قديماً "بيعة القمامة" وكان يأتـــــي إليها المسيحيون من كل أنحاء البلاد(خسرو ، 1979).

وزينت الكنيسة بالرخام الملون والنقوش والصور ، كما وجد فيها مجموعة من الصور المطلية بزيت السندروس (خسرو ، 1979).

وقد تعرضت الكنيسة في العصر الفاطمي إلى هدم وتخريب في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وذلك سنة(400هــ/1009م) ، وظلت كذلك حتى سنة(429هــ/1073م) (خسرو ، 1979 ، الأنطاكي ، 1990) .

الفصل الثاني

التاريخ السياسي لمدينة القدس أيام الفاطميين

أولاً: القدس قبيل الحكم الفاطمي

أ‌- الإخشيديون

تنسب الدولة الإخشيدية إلى محمد بن طغج بن الإخشيد(محمد بن طغج المنعوت بالإخشيد ولد في بغداد سنة(268هـ/881م)، تنقلت به الأحوال إلى أن اصبح والياً على مصر والشام سنة323هـ/934م ،المقريزي ، 1987) ، الذي تقلد مدينة الرملة للخليفة الراضي بالله العباسي في سنـــــــــة(316هـ/928م) وأقام بها إلى سنة(318 هـ/930م) ، ثم تولى أمر دمشق بعد أن وردت إليه كتب الخليفة المقتدر تأمره بالسير إليها وتولي أمرها فبقي والياً عليها إلى سنة(324هـ/5935م) ، ثم أضاف إليه الخليفة الراضي فيما بعد ولاية مصر بعد أن عزل عنها احمد بن كيغلغ وذلك مكافأة له على صد الفاطميين عن مصر(ابن الأثير ، 1987 ، الكندي ، 1908).

وفي تلك الفترة كثرت القوى السياسية التي أرادت السيطرة على بلاد الشام وكان الإخشيديون يتحملون مسؤولية مواجهتها ، وأولى هذه القوى محمد بن رائق الذي ولاه الخليفة الراضي بالله طريق الفرات وديار مصر سنة(327هـ/983م) فاستقر بها وبدأ يطمح لامتلاك الشام(الأمير محمد بن رائق كان أمير الأمراء للخليفة الراضي بالله ، وبعد تطور الأمور بالعراق بوصول بجكم إلى منصب إمرة الأمراء ، قلد الراضي ابن رائق طريق الفرات وديار مصر) ، الذهبي ، 1984 ، ابن خلدون ، 1971).

وخاض الإخشيديون عدة معارك مع ابن رائق في مصر ودمشق والرملة هزم ابن رائق فيها بالقرب من العريش في مصر ، فاضطر إلى العودة إلى الرملة منهياً نزاعه مع الإخشيد ، لكن الإخشيد أراد التخلص منه فأرسل أخوه أبا نصر لمقابلته ففاجأهم ابن رائق عند شمال فلسطين وتمكن من هزيمتهم وقتل قائدهم أبو نصر، فغسله وكفنه وبعثه إلى أخيه معتذراً عما جرى(الكندي ،1908 ، ابن الأثير ، 1987) .

بالرغم من الانتصار الذي حققه الإخشيد على ابن رائق إلا أن الأمر بينهما انتهى بعقد صلح سنة(328هـ/939م) ونص على أن تكون بلاد الشام حتى شمال الرملة لابن رائق ، وان تكون الرملة وما وراءها حتى مصر للإخشيد، مقابل أن يدفع الإخشيد لابن رائق مائة واربعين ألف دينار كل سنة(الكندي ،1908) .

وبعد مقتل ابن رائق أثناء اصطدامه مع بني حمدان أتاح ذلك الفرصة للإخشيد لإعادة سيطرته على بلاد الشام بتقليد من الخليفة المستكفي بولايتها(الكندي ،1908).

أما القوة الثانية التي واجهت الإخشيديين فهم الحمدانيون الذين أسسوا إمارة لهم في الموصل وطمحوا بامتلاك بلاد الشام ، فواجهوا الإخشيديين بالقرب من قنسرين فلم ينتصر أحدهما على الآخر، وانتهى الأمر بينهما بعقد صلح في سنة (334هـ/945م) نص على أن تكون حلب وشمال الشام لسيف الدولة ، ودمشق وأعمالها (وسط وجنوب الشام) للإخشيد ، وان يدفع الإخشيد لسيف الدولة ضريبة سنوية(ابن العديم ، 1954 ، ابن الأثير ، 1987 ، المقريزي ، 1987) .

وأشار حسن إبراهيم إلى أن قبول الإخشيد للصلح كان هدفه بقاء الحمدانيين درعاً واقياً لهم أمام الهجمات البيزنطية فقد كان يتخوف من مهاجمة البيزنطيين لبلاده من جهة الشمال(إبراهيم ، 1965).

وبعد وفاة الإخشيد سنة(334هـ/945م) تولى ابنه أبو القاسم انوجور الذي كان صغيراً في السن ، فتولى تدبير الأمور كافور الإخشيدي وصار صاحب السلطة الفعلية في إدارة شؤون الدولة الإخشيدية(مسكويه ، 1915 ، ابن الأثير ، 1978)، وفي عهده نقض سيف الدولة الصلح مع الإخشيديين فخرج كافور إليهم وتمكن من هزيمة سيف الدولة وبقي يطارد فلوله حتى حلب ، مما دفع سيف الدولة لطلب الصلح بنفس الشروط السابقة التي عقدها مع محمد بن طغج ، على أن يسقط شرط دفع الضريبة مع الإخشيديين(ابن العديم ، 1954 ، ابن الأثير ، 1978 ، ابو المحاسن ، 1992).

وبعد وفاة كافور الإخشيدي سنة(357هـ/967م) تعرضت البلاد لغارات القرامطة فوصلوا إلى دمشق والرملة سنة(357هـ/967م) وسيطروا عليها ، ولم

يستطع الحسن بن عبيد الله(الحسن بن عبيد الله الإخشيدي ولي دمشق وأسر لما فتح الفاطميون الرملة سنة 358هـ/968م ، حمل إلى المغرب وتوفي هناك) ، ابن عساكر،1982)الوقوف في وجههم فدخل معهم في هدنة تعهد فيها أن يدفع لهم ضريبة قدرها 300الف دينار سنوياً (ابو المحاسن ، 1992 ، ابن كثير ، 1993).

وبقي الإخشيديون يدفعون المال المقرر للقرامطة حتى قدوم الفاطميين إلى بلاد الشام بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي الذي تمكن من دخول فلسطين ووصل إلى الرملة وسيطر عليها سنة (359هـ/969م) وتمكن من أسر الحسن بن عبيد الله وإرساله إلى مصر(ابن الأثير ، 1978 ، الدواداري ، 1961 ، ابو المحاسن ، 1987) لتنتهي سيادة الإخشيديين على الرملة وبلاد الشام ويبدأ حكم الفاطميين لها.

ب ــ القرامطة

ينسب القرامطة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بحمدان قرمط(ابن العديم ، 1987)، وهو من اتباع الحركة الإسماعيلية وظهرت هذه الحركة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في سواد العراق ، ومن ثم انتقلت إلى البحرين ونجحت في تكوين دولة عظيمة على يد أبي سعيد الجنابي الذي تمكن من السيطرة على الإحساء وتنظيم القبائل العربية في شرق الجزيرة العربية مهدداً بذلك سلطان الخلافة العباسية(إبراهيم ، 1965 ، العزام ، 1992).

وفي منتصف القرن 4هـ/10م انقسم القرامطة بسبب التنافس بين أبناء أبي سعيد ، ففريق منهم بقي على ولائه للفاطميين ، وفريق آخر اضمر العداء لهم بزعامة الحسن بن احمد الأعسم لانه رأى أن الفاطميين قد سلبوهم نفوذهم(ابن الأثير، 1978، ابن خلدون ، 1988، متز ، 1967، إبراهيم ، 1965) .

زحف الحسن إلى مصر سنة(363هـ/974م) وتعاون مع ابن الجراح ، فشكلوا معاً قوة هددت النفوذ الفاطمي ، لذلك فكر الفاطميون باستمالة حسان بن الجراح فدفعوا له أموالاً طائلة تقدر بمائة ألف دينار مقابل التخلي عن القرامطة(ابن القلانسي ، 1983 ، الدواداري ، 1961 ، ابن كثير ، 1993) ، فاستجاب ابن الجراح لطلب الفاطميين ، فما

أن بدأت المعركة بين الطرفين حتى غدر ابن الجراح بحليفه الحسن بن الأعسم فانسحب من أمامه في المعركة ، مما أدى إلى هزيمته أمام الفاطميين وعودته إلى الإحساء(ابن القلانسي ، 1983 ، الأزدي ، 1972) .

ثانياً : الفتح الفاطمي للمدينة

أـ عملية الفتح

بدأ جوهر الصقلي يتطلع للتوجه إلى بلاد الشام منذ دخوله مصر ، وذلك لأهمية بلاد الشام ودورها في حماية وجودهم في مصر ، لذلك رغب الفاطميون في القيام بفتح بلاد الشام مدفوعين بالأسباب التالية(العزام ، 1992)

1ـ الضرورة السياسية والعسكرية التي كانت تقتضي منهم بعد فتح مصر التوجه نحو الشام وفتحها ، لتأمين حدود مصر من ناحية الشرق والشمال الشرقي .

2ـ فتح الشام كان خط الدفاع الأول عن مصر ويتيح لهم السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، ووقف تقدم القرامطة الذين تحركوا من جهتهم وحاولوا إخضاع بلاد الشام ففرضوا عليهم دفع الظرائب لهم .

3 ـ رغبة الفاطميين في القضاء على الخلافة العباسية في بغداد والإستيتلاء على المشرق الإسلامي لنشر الدعوة الفاطمية وبالتالي كان لا بد من فتح الشام التي تشكل المحطة الأولى التي يمكن من خلالها إسقاط الخلافة العباسية .

4 ـ الوقوف في وجه البيزنطيين الذين كانوا يشكلون خطراً كبيراً يهدد الدولة الفاطمية منذ تأسيسها في المغرب وبعد إنتقالها إلى مصر .

5 ـ رغبة الفاطميين في وضع حد للنفوذ البيزنطي بهد أن تمكنوا من الإستيلاءعلى عدد من الثغور الشامية وبعض مدن الساحل ، لذلك رغب الخليفة المعز لدين الله الفاطمي(341-362 / 952-975) أن يحقق هدفين من وراء فتح الشام هما

أ ـ كسب تأييد المسلمين وخاصة المصريين بمواجهة الأخطار التي تهدد البلاد الإسلامية ومحاربة أعدائهم .

ب ـــ رد الخطر البيزنطي عن مصر والدولة الفاطمية .

ج ـــ ربما الترويج لمذهب الفاطميين الإسماعيلي .

وبعد أن تمكن جوهر الصقلي(هو جوهر بن عبد الله أبو الحسن الكاتب قائد المعز لدين الله الفاطمي ، ولد سنة313/934 ، وقد عينه المعز وزيراً له سنة 345 هـــ/956م ، ثم أصبح قائد للجيش الفاطمي الذي فتح مصر والشام ، توفي سنة 318هـــ/991م) ، الذهبي ، 1976) قائد المعز لدين الله الفاطمي من فتح مصر سنـــــــة (358هـــ/986م) حيث استقرت الأمور فيها وأقام الدعوة للخليفة الفاطمي سيرَ جيشاً بقيادة القائد حعفر بن فلاح الكتامي ، وأمره بالتوجه نحو الشام ، فسار جعفر إلى مدينة الرملة التي كانت عند قدومه ولاية عباسية خاضعة للسيادة الإخشيدية ويتولى أمرها الحسن بن عبيد الله الاخشيدي آخر حكام الدولة الإخشيدية (ابن عساكر ، 1981 ، ابو المحاسن ، 1992) ، فلما وصلت إليه أخبار فتـــح مصر وعزمهم على التوجه نحو الشام جهزَ جنده وسار من دمشق إلى الرملة للتصدي للفاطميين واستخلف على دمشق شمول مولى كافور الإخشيدي(هو شمول بن عبد الله ابو الحسن الكافوري ، ولي إمرة دمشق سنة 358هـــ/968م ، وعندما فتحها جعفر بن فلاح دخل في طاعته ، فابقاه على دمشق) ، ابن عساكر ، 1981 ، المقريزي ، 1967).

وقد أشارت المصادر إلى أن جعفر بن فلاح قام بمكاتبة ولاة الشام لمساعدتهم ضد الإخشيديين فراسل فاتك الاخشيدي والي طبرية ، والصباحي والي بيت المقدس وشمول الاخشيدي نائب الحسن بن عبيد الله على دمشق ودخل هؤلاء جميعاً في طاعة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وكان الحسن بن عبيد الله قد بعث إليهم يطلب المساعدة ضد الفاطميين ، لكنهم تقاعسوا عن نجدته فلم يتمكن من الصمود أمام القوات الفاطمية ومني بالهزيمة هو وقواته ، فتمكـــن جعفر بن فلاح من فتح مدينة الرملة سنة(358هـــ/968م)(الدواداري ، 1961، المقريزي ، 1967) وبعث الحسن الإخشيدي مع عدد كبير من جنوده إلى مصر ثم إلى المغرب(ابن ظافر الأزدي ، 1972، ابو الفداء ، 1997).

وعلى أثر سقوط الرملة سقطت المدن الداخلية والساحلية لجند فلسطين واعترفت بالولاء للفاطميين(ابن القلانسي ، 1983 ، الدواداري ، 1961) وبعد أن استقرت أوضاع جعفر بن فلاح في الرملة سار نحو طبرية واستعد لقتال الإخشيديين وتمكن من دخول طبرية دون مقاومة تذكر وذلك سنة(358هـ/963م) (المقريزي ، 1967).

أما عن علاقة الفاطميين بالقبائل العربية المتواجدة في الرملة فقد وقفت قبائل الجراح ومن معهم من قبيلة طيء مع القرامطة أعداء الفاطميين وحاربوا إلى جانبهم وبقيت علاقاتهم مع الدولة الفاطمية في حالة مد وجزر على الرغم من خيانة ابن الجراح للقرامطة وتحالفه مع الفاطميين لكنه لم يستطع أن يقيم علاقة جيدة معهم(ابن القلانسي ، 1983 ، ابن كثير ، 1993) .

أما بنو مرة وفزارة(هم بطن من ذبيان القحطانية ، القلقشندي ، 1980) فقد استمالهم جعفر بن فلاح بعد دخوله إلى الرملة وأوقع بينهم وبين بني عقيل، فتمكنوا من هزيمة بني عقيل وطردهم إلى حوران(الدواداري ،1961 ،المقريزي ، 1967) والبثنية (هي بلدة معروفة بالشام وإحدى المناطق الداخلية لدمشق) ،(الحموي ،1997) وبهذا الإجراء تمكن الفاطميون من إخضاع الرملة لسيطرتهم ، وبقيت كذلك حتى سيطر السلاجقة على المدينة سنة(463هـ/973م)(ابن القلانسي ، 1983 ، ابن الأثير ، 1997) .

ب ــ دور بني الجراح

كان بنو الجراح القوة الثانية التي ناهظت الوجود الفاطمي في الشام وفي مدينة الرملة ، وينسب هؤلاء إلى بطون طيء التي أقامت بفلسطين وهي قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية (القلقشندي ، 1987)، وكانت منازلهم باليمن ، وقد خرجوا منها إلى نجد والحجاز على القرب من بني أسد ، ثم غلبوا بني سعد على جبلي أجا و سلمى من بلاد نجد ، فنزلوها وعرفتا باسمهم جبلي – طيء ، وأثناء الفتوحات نزلوا الشام والعراق والحجاز(الهمذاني ، 1974 ، القلقشندي ، 1980) .

وفي القرنين الرابع والخامس الهجريين /العاشر والحادي عشر الميلاديين أجمعت رئاسة طيء لبني الجراح الذين استوطنوا فلسطين وأقاموا فيها (ابن القلانسي ، 1983 ، الدواداري ، 1961 ، الحياري ، 1977 ، العزام ،1992) ، وكانت هذه الإمارة إمارة قبلية بدوية

لم تحظى بموافقة سلطـــة معينM (الحياري ، 1977)إلاّ في فترة محدودة جداً كما حدث سنة(369هــ/979م) عندما قلدَ العزيز بالله ابن الجراح ولاية الرملة (الدواداري ، 1961).

وكانت علاقة بني الجراح مع الفاطميين تتأرجح بين الولاء والعداء حسب مصالحهم الذاتية ، وعرفوا بكثرة اعتداء اتهم على قوافل الحج للحصول على المكاسب المادية وذلك في القرن 4هــ /10م (ابن الجوزي ، 1992 ، ابن الأثير ، 1978).

وبعد الفتح الفاطمي لبلاد الشام لعب هؤلاء دوراً كبيراً في الحركات المناهظة لنفوذ الفاطميين فوقفوا أحياناً إلى جانب الفاطميين و أحياناً أخرى وقفوا ضدهم ، بل قاموا بتدبير هذه الحركات ضد الوجود الفاطمي بالشام (العزام ،1992) .

وساهم بنو الجراح في الوقوف إلى جانب القرامطة ضد الفاطميين حينما توجه الحسن الأعسم إلى مصر وحاصر مدينة القاهرة ، حيث شارك بنو الجراح في هذه الحملة إلا أن مشاركتهم توقفت بسبب اغراءات الفاطميين الذين دفعوا لهم مبلغاً كبيراً من المال يقدر بحوالي مائة ألف دينار من الذهب للتخلي عن القرامطة ، فغادروا مصر ليبقى القرامطة بمواجهة الفاطميين ويستعيد المعز الشام (ابن القلانسي ، 1983 ، ابن الأثير ، 1978، الدواداري ، 1961 ، المقريزي ،1967) .

وبدأت العلاقات بعد ذلك تتحسن بين الطرفين وذلك عندما ساعد ابن الجراح الفاطميين في القضاء على حركة أفتكين التركي الذي سيطر على دمشق وكثير من مدن الشام في الفترة ما بين (364ــ367هــ /974ــ 977م) ، بل نجد أن ابن الجراح هو الذي قبض على أفتكين بعد هزيمته أمام الفاطميين وأخذ مقابل ذلك مكافأة مالية من الخليفة العزيز بالله مقدارها مائة ألف دينار(ابن القلانسي ، 1983، الأزدي ، 1972) .

وقد أدرك الخليفة العزيز أهمية بني الجراح فعمل على استمالتهم فقلدَ زعيمهم المفرج بن دغفل ولاية الرملة سنة(369هــ /979م)(ابن القلانسي ، 1983، الدواداري ، 1961 ، المقريزي ،1967) ، وقد استهدفت الدولة الفاطمية من هذا الإجراء وقوف ابن الجراح إلى جانبها ضد أبي تغلب بن حمدان صاحب الموصل الذي قدم إلى الشام محاولاً السيطرة عليها(بن سعيد ، 1990 ، ابن الأثير ، 1978، الدواداري ، 1961) .

ولم يكن ابن الجراح مخلصاً للدولة الفاطمية فقد خربت البلاد في أيامه حيث أهلك العمل حتى كان الإنسان يدخل مدينة الرملة فلا يجد شيئاً (المقريزي ،1967) .

ونتيجة لسوء تصرفه فقد قامت الدولة الفاطمية بمحاربته في جنوبي بلاد الشام سنة (371هـ/981م) فلجأ إلى إنطاكيا واستجار بصاحبها فأجاره (ابن القلانسي ، 1983، ابن الأثير ، 1978، الدواداري ، 1961).

وفــي تلــك الفترة خرج الإمبراطور البيزنطي البيزنطي باسيل الثاني على رأس جيوشه إلى الشــام بقصد فك الحصار الذي فرضه بكجور على حلب حلفاء البيزنطيين ، فخشي ابــن الجــراح من غدر البيزنطيين به وتسليمه إلى الفاطميين أو لأبي المعالي بن حمــدان صاحب حلب فيقوم بقتله انتقاماً لقتل ابن الجراح عمه أبي تغلب ، لذلك قام ابــن الجــراح بمكاتبة بكجور ليحذره من البيزنطيين ويطلب الالتجاء إليه وهذا ما حدث فعلاً فلجا ابن الجراح إلى بكجور والتحق بخدمته(ابــن الأثير ، 1978، الدواداري ، 1961).

وقد حاول بنو الجراح بعد ازدياد نفوذهم في جنوب الشام تكوين دولة مستقلة عن الخلافة الفاطمية في الرابع الأول من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، لذلك قاموا بمحاولتين للقضاء على الخلافة الفاطمية بالشام وهي على النحو التالي

1ـ في سنة (401هـ/1010م) هرب أبو القاسم الحسين المغربي إلى الرملة (هو الحسين بن علي بن الحسين، ولد في مصر سنة370هـ/980م وهرب منــها إلى مكة ثم الشام ، حفظ القرأن وعدة كتب في النحو واللغة والشعر ، توفي سنة 418 هـ/1027م ، ابن كثير ، 1993) بعد أن قتل الخليفة الحاكم بأمر الله أباه وعمــه وأخويه ، فطلب النجدة من ابن الجراح فأجابه إلى ذلك ، وقد بدأ أبو القاســم في الرملة بتحريض بني الجراح على الخروج عن طاعة الحاكم بأمر الله ، وأشــار لى ابن الجراح مكاتبة أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة والحجاز (هو أمير مكة والحجاز، شقَ عصى الطاعة على الحاكم بأمر الله

بتحريض من أبي القاسم المغربي ، بويع بالخلافة من قبل بني الجراح في جنوب الشام ، لكن الأمر لم يستمر طويلاً ، فعاد إلى الحجاز)،(الفاسي ، 1965) ،ونزل بدار الإمارة ولقب بأمير المؤمنين الراشد بالله وضربت السكة باسمه ، وعندما علم الحاكم بأمر الله بما جرى لجأ إلى استمالة بني الجراح بالأموال والهدايا لذلك تخلى بنوالجراح عن أبي الفتوح وانتهت حركته في جنوبي الشام فعاد إلى مكة بعد أن عفى عنه الحاكم بأمر الله(بن سعيد ، 1990 ، الأزدي ، 1972)

2ـ في سنة(415هـ/1024م) قام ابن الجراح بإثارة قبائل بني مرة في منطقة الصعيد في مصر ضد الفاطميين(بنو مرَة : هم بطن من هلال بني عامر بن صعصعة ، من غرب الديار المصرية وبلادهم من صعيد مصر)، (القلقشندي ، 1980) لكن محاولته باءت بالفشل(المسبحي ، 1980).

ثالثاً: مدينة القدس تحت الحكم السلجوقي

ينسب السلاجقة إلى زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق (ابو الفداء ، 1997 ، الراوندي ، 1960) وهم إحدى القبائل التركية التي تعرف باسم" القنق" بتركستان (الراوندي ، 1960 ، الحسيني ، 1986)، وتمثل هذه القبيلة مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بـ"الغز" (ابن الأثير ، 1978، الحسيني ، 1986) ، إلاَ أن لقب السلاجقة هو الذي غلب عليهم بعد هجرتهم بقيادة زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق الذي قدم بهم من بلاد تركستان إلى ما وراء النهر فاستقروا ما بين بخارى وسمرقند (الراوندي ، 1960) .

بعد وفاة سلجوق بن دقاق توالى على قيادة السلاجقة ابناؤه الذين تطلعوا إلى توسيع نفوذهم على حساب الدولة الغزنوية وتمكنوا أخيراً من بسط نفوذهم على أجزاء عدة من خراسان ، مما دفع السلطان مسعود الغزنوي إلى مواجهتهم قرب سرخس(مدينة قديمة من نواحي خراسان وهي بين نيسابور ومرو) ،(الحموي ، 1997) وتعرضه للهزيمة أمامهم (البيهقي ، 1956) ، مما أدى إلى عجز الغزنويين الوقوف في وجه السلاجقة مرة أخرى .

وقد ظهرت شخصية أخرى تزعمت قيادة السلاجقة فيما بعد وهي شخصية

ركن الدين طغرل بك أبي طالب بن ميكائيل بن سلجوق (ابن خلكان ، 1969) ، الذي اختاره السلاجقة قائداً وزعيماً لهم سنة(429هـ/1037م) فاعتبروه أول سلاطينهم والمؤسس الحقيقي لدولتهم.

تطلـــع طغرلبك إلى توسيع نفوذه في إيران وما وراء النهر ، فخاض معركة مع الغزنوييـــن عـــند داندانقـــان(بلـــدة عـــند مـــرو ممـــا يلـــي سرخس ، ابو الفداء ، 1840) انتهت بانتــــــصـــار الســـلاجقة علـــى الغزنوييـــن وســـيطرتهم علـــى كل أنحـــــاء خراســــــان (الراوندي ، 1960، البيهقي ، 1956 ، الحسيني ، 1986) .

وكان من نتائج هذه الحملة سنة (462هـ /1069م)، بسط نفوذ السلاجقة على بلاد الشام والجزيرة الفراتية وإخضاع جميع الأمراء المستقلين فيها لسلطانـــــــهم ، واستمـــــــرار بعض أمـــــــراء التركـــمان المشهورين فيها أمثال أتسز بن أوق (ابن القلانسي ، 1983، ابن الأثير ، 1978 ، ابن ميسر ، 1980) وملكشاه بن ألب أرسلان الذين أوكلت إليهما مهمة الحد من نفوذ الدولة الفاطمية بمساعدة أمراء بني مرداس ، فقاموا بإرسال الحملات إلى المناطق الجنوبية من بلاد الشام للقضاء على النفوذ الفاطمي فيها(ابن ميسر ، 1980) .

بدأ نشاط السلاجقة يتضح في بلاد الشام بعد الحملات العسكرية التي قاموا بها بمساعدة حلفائهم من أمراء العرب أمثال الأمير محمود بن نصر المرداسي للإستيلاء على المناطق الجنوبية من بلاد الشام التابعة للدولة الفاطمية، فقام السلاجقة إلى جانب المرداسيين بتوجيه حملة إلى دمشق لكنها باءت بالفشل بسبب ما تعرضت له حلب أثناء غيابهم من مؤامرة عطيه المرداسي لإستعادة نفوذه فيها بالتعاون مع البيزنطيين(ابن العديم ، 1954) .

أما أتسز بن أوق فقد توجه إلي الرملة وبيت المقدس وانتـــزعها من الفاطميين(ابن القلانسي ، 1983، ابن الأثير ، 1978 ، ابو الفداء ، 1997)، وبدأ منها يواصل غاراته على دمشق يحرق ويخرب ويرعى زروعها ما يقارب خمس سنوات حتى تم له فتحها باسم السلاجقة سنة (468هـ /1075م) ، وبهذا يعتبر أتسز السلجوقي

أول مؤسس لإمارة سلجوقية في بلاد الشام على أنقاض إمارة الفاطميين في القدس والرملة ودمشق(الفارقي ، 1965) .

وعندما بدأ أتسز يثبت نفوذه في المنطقة على حساب رعاياه من سكان إمارته ساءت أوضاعهم الإقتصادية فثار أهل القدس على نوابه فيها بعد أن تدهـــورت أوضاعهم الإقتصادية وأصابهم الجوع والبلاء والفقر ومـــات الكثـــــيرمنـــهم وهاجرت أعداد منــــهم إلى مناطـــــق مختـــــلفة من بلاد الشـــــام (ابن الأثير ، 1987 ، ابن خلدون ، 1988 ، الذهبي ، 1989)، وربما هذا دليل واضح أن بلاد الشام لم تتحسن أحوالها كما كانت عليه في عهد الفاطميين بل تبدلت من سيء إلى أسوأ.

ونتيجة للظروف والأوضاع السياسية المتردية في جنوب بلاد الشام أرسل السلطان السلجوقي ملكشاه أخيه تتش إلى بلاد الشام بعد أن أقطعه إياها في سنـــــة(470 هـ /1077م) (ابن القلانسي ، 1983 ، ابن الأثير ، 1978 ، النويري ، 1984) وسار ومعه أمراء التركمان إلى بلاد الشام لإخضاعها للسيطرة السلجوقية فانظم إليه الأمير مسلم بن قريش العقيلي بمن معه من بني عقيل وتمكنا من الإستيلاء على عدد من المدن وقرى الإمارة المرداسية ثم قاموا بمحاصرة حلب (ابن العديم ، 1954).

أما بيت المقدس فقد أرسل إليها الأمير التركماني أرتق بن أكسب الــــذي عمـــل تحـــت قيـــادة تـــاج الدولة بن تتش فاقطــــعه بيـــت المقدس(ابن الأثير ، 1978 ، ابن واصل ، 1953 ، ابن خلكان ، 1969، ابن خلدون ، 1988) ، واستقر بها حتى وفاته سنة (484هـ/1091م) مخلفاً إياها لولديه سقمان وايلغازي .

وبقيت مدينة القدس تحت حكم أبناء أرتق حتى تمكن الفاطميون من إرسال حملة إليها بقيادة الأفضل بن بدر الجمالي ، الذي قام بحصار المدينة وتمـــكن من الإستيـــــلاء عليـــــها وانتــــزاعها من الأراتقــــة في سنــــة (489 هـ/1096م)(ابن القلانسي ، 1983، ابن الأثير ، 1978).

وقد أحسن الأفضل إلى سقمان وايلغازي وأرسلهما إلى دمشق ، ثم إلى العراق حتى وصل سقمان إلى الرها ، وايلغازي إلى العراق واستنــــاب الأفضل بن بدر الجمالي على بيـــت المقدس الوزيـــر افتــــخار الدولـــة(ابن الأثير ، 1978) الـــذي

جنوب فرنسا برئـــاسة البــــابا أوروبان الثانــــي سنــــــة (488هـ/ 1095م)(الشارتري ، 1990 ، الصوري ،1990) الذي دعا فيه إلى حمــــل السلاح وتحرير الضريح المقدس والمسيحيين الشرقيين من أيدي المسلمين(الشارتري ، 1990 ، مجهول ، 1958).

وقد بدأت قوات الحمة الصليبية الأولى تتجمع في مختلف أنحاء أوروبا منذ شهر آذار إلى تشرين الأول من سنة (498هـ/1069م) وتحدث فوشيه الشارتري عن هذه الحملة قائلاً:"وتكاثر الجيش يوماً بعد يوم ، ونما في مسيرته من شرائم قليلة إلى مجموعة من الجيوش ... "(الشارتري ، 1990، ص41) .

وقد قرر الصليبيون في اجتماع عقدوه في أنطاكية الزحف إلى بيت المقدس ، فسارت جموعهم سنة(492هـ/1089م) من أنطاكية فوصلوا إلى معرة النعمان ثم إلى كفر طاب(ابن العديم ، 1954) ، وبوصولهم إلى هذه المناطق بدأ احتكاكهم مع الإمارات العربية التي أدركت خطورة هذا الغزو ، ومالت إلى اتباع سياسة الموادعة والمسالمة معهم .

وفي الرملة عقد الصليبيون مجلساً للحرب ناقشوا فيه كيفية الزحف نحو بيت المقدس فأجمعوا على ترك الرملة والسير مباشرة إلى بيت المقدس وتحقق لهم ذلك واجتمعوا حوله يوم الثلاثاء السابع من حزيران سنة (492هـ/1099م) وقاموا بمحاصرته من جميع الجهات .

شرع الصليبيون في مهاجمة بيت المقدس بعدد من آلات الحصار، لكنهم واجهوا مقاومة كبيرة من قبل الحامية الفاطمية الموجودة فيها تحت قيادة افتخار الدولة(افتخار الدولة بن علي ، اصبح حاكماً على مدينة القدس بعد إخراج سقمان وايلغازي منها ، ابن الأثير ، 1978) الذي عمد إلى تسميم الآبار ، وردم القنوات ، وإخفاء المواشي ، كما طرد جميع من في المدينة من النصارى ، واهتم بتقوية تحصينات المدينة بالتأكد من سلامة الأسوار معتمداً في الدفاع عن المدينة على حامية كبيرة من الجند المصــــــريين والسودانيين(ابن الأثير ، 1987 ، ابو المحاسن ، 1979 ، رنسمان ، 1978).

ولما طال الحصار ولم يتمكن الصليبيون من اجتياح أسوار المدينة ، عمدوا إلى بناء برجين على أسوار المدينة أحدهما عند باب صهيون والآخر عند باب العامود ، فأحرق المسلمون البرج الأول وقتلوا من فيه من الصليبيين ، أما البرج الثاني فقد ألصقه الصليبيون بالسور وكشفوا من كان عليه من المسلمين ، وتمكنوا من اقتحام المدينة بعد حصار دام أربعين يوماً(ابن الأثير ، 1978) .

وعندما سقطت المدينة بيد الإفرنج اعتصم المسلمون بالمسجد الأقصى فتبعهم الصليبيون واقتحموا المسجد وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية خاضوا فيها بدماء المسلمين(الصوري ، 1990).

أما افتخار الدولة فقد احتمى مع طائفة من الجند بمحراب داوود واعتصموا فيه ثلاثة أيام ، لكنهم ما لبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن أعطاهم الصليبيون الأمان (ابن الأثير ، 1978) وأطلقوا سراحهم وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان ، فكانوا الفئة الوحيدة من مسلمي القدس التي نجت من وحشية الصليبيين .

أما موقف الدولة الفاطمية من الحملة الصليبية على بلاد الشام فقد أشارت المصادر إلى تخاذل الدولة الفاطمية وترحيبها بالصليبيين ، فأرسلت إليهم أبان حصارهم لإنطاكية في سنة (490هـ/1097م) بعثة تحمل مشروعاً للتعاون العسكري لإزاحة النفوذ العباسي السلجوقي من بلاد الشام واقتسامها بينهما على أن يكون شمال سوريا للصليبيين وجنوب سوريا (فلسطين) للفاطميين (الشارتري ، 1990 ، الصوري ، 1990).

أرسل الفاطميون بعثة ثانية إلى الصليبيين عرضت عليهم استعداد الفاطميين لتسهيل مهمة من يرغب من الصليبيين بالحج إلى بيت المقدس ، في إطار مجموعات غير مسلحة ، لاتتجاوز المائتين أو الثلاثمائة فارس في كل مرة ، لكن الصليبيين اعتبروا ذلك إهانة لهم وحمّلوا البعثة رسالة إلى حكام مصر جاء فيها أن الجيش لن يذهب إلى بيت المقدس حسب الشروط الفاطمية بل أنهم سيدخلونها بجيش موحد (الصوري ، 1990 ، عاشور ، 1996).

الفصل الثالث

الإدارة الفاطمية في مدينة القدس

أولاً: الدواوين

أنشأ الفاطميون مجموعة من الدواوين تساعدهم في إدارة شؤون البلاد، ويختص كل منها بوظيفة معينة، ويتولاها أشخاص ذو خبرة واسعة في هذا المجال، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن هذه الدواوين وجدت في البداية بدار الإمارة بجوار الجامع الطولوني وذلك عند قدوم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة في سنة (362هـ / 927م) ، لكن فيما بعد نقلت إلى دار الوزير يعقوب بن كلس(يعقوب بن كلس هو يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس ، ولد في بغداد ، واتصل بكافور الإخشيدي في مصر ، كان يهودياً وأسلم في أيامه سنة 365 ، ثم خدم المعز الفاطمي وتولى أموره فلقب بالوزير الأجل فعظمت منزلته عنده ، توفي في أيام العزيز) ، (ابن الأثير ، 1978، ابو المحاسن ، 1979) زمن الخليفة الفاطمي العزيز بالله والذي أعادها إلى القصر (االصيرفي ، 1905، ابن الطوير ، 1992).

ومن أهم هذه الدواوين ديوان الإنشاء ، ودواوين الإدارة المالية التي تتولى جباية الأموال وانفاقها، وديوان الجيش والرواتب ، وديوان الإنشاء الشامي .

فديوان الإنشاء كان من أهم دواوين الدولة الفاطمية ، وقد أطلق علية اسم (ديوان الإنشاء والمكاتبات) ، وكان لا يتولاه ألا من كانت له معرفة بالبلاغة ومن المشهود لهم بالأمانة والتقوى من المسلمين(الصيرفي ، 1905، ابن الطوير ، 1992 ، المقريزي ، 1980) ، ولا يتولاه إلاَ رجل من أجل كتّاب البلاغة(الصيرفي ، 1905) وكان يلقب صاحبه بالكاتب ، ومهمته تسلم المكاتبات التي ترد من العاصمة والرد عليها (الصيرفي ، 1924 ، ابن القلانسي 1983، ابن الطوير ، 1992) .

ولم تشر المصادر إلى أشخاص تولوا أمر هذا الديوان للفاطميين في مدينة الرملة أو في فلسطين والقدس ، ومع هذا فلابد أن يكون هناك فروع لديوان الإنشاءفي

فلسطين، والأرجح أنه كان في مدينة الرملة .

أما دواوين الإدارة المالية فقد اشتملت على مجموعه من الدواوين الهامة منها ديوان بيت المال ، وديوان الخراج ، وديوان النظر (ديوان الشام) .

أ ــ ديوان بيت المال

كان يتولى الإشراف على ما يرد بيت المال من الأموال وما يخرج منها في وجوه النفقات (متز ، 1967) ، وقد ذكر المقدسي أن هذا الديوان وجد في كل قصبة من الأجناد (المقدسي ، 1906) ، ومن أهم موارد بيت المال في العصر الفاطمي الخراج الجزية ، العشور ، المكوس .

فالخراج كان يفرض على الأراضي الزراعية وذلك حسب أصناف المزروعات وصلاحية الأرض للزراعة ، وكان الفلاحون يدفعونه إما نقداً أو عيناً مرة واحدة في السنة(القلقشندي ، 1978) ، هذا عن جباية الخراج في مصر أما عن طرق جبايته في الشام فربما طبق الفاطميون في الشام ما كان معمولاً به في مصر بما في ذلك القدس وعامة فلسطين .

وقد ذكر المقدسي خراج فلسطين خلال تلك الفترة بقوله: " وعلى فلسطين مائتا ألف وتسعة وخمسون ألف دينار " (المقدسي ، 1906 ، ص189) ، وربما هذا دليل على مدى النشاط الزراعي التي وصلت إليه فلسطين خلال تلك الفترة.

أما المورد الثاني فهو الجزية وهي ضريبة تفرض على أهل الذمة مقابل المحافظة على أرواحهم، وعلى أموالهم والدفاع عنها، والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية(القلقشندي ، 1978 ، المقريزي ، 1967) ، وكانت تؤخذ على كل رجل عاقل بالغ ولا تؤخذ على النساء والصبيان والشيوخ والمرضى والعميان(ابو يوسف ، 1347) .

ولم تمدنا المصادر التاريخية بأية معلومات عن كيفية جباية الجزية أو مقدارها في العصر الفاطمي ، لكن هناك إشارة من ابن مماتي عن طريقة جبايتها في العصر الأيوبي فيقول : " الجزية على ثلاث طبقات عليا ومبلغها أربعة دنانير

وسدس ، ووسطى ومبلغها ديناران وقيراطان ، وسفلى ومبلغها دينار واحد وثلث وسبع حبتين وكان استخراجها في مستهل المحرم من كل سنة في أول الأمر ، ثم ذكر ابن مماتي انها صارت تجمع في شهر ذي الحجة (ابن مماتي ، 1943).

ومن المرجح أن العصر الأيوبي كان استمراراّ لما كان معمولاً به في العصر الفاطمي من حيث طريقة الجباية ومقدارها ، فابن مماتي يذكر أنها سابقاً كانت تجبى في شهر محرم ، أما في عهده فتجبى في ذي الحجة(العزام ، 1992) .

أمـــا المورد الثالث فهو العشر وهي رسوم تؤخذ على أموال وعروض تجارة الحرب وأهل الذمة ، فيؤخذ من أهل الذمة نصف العشر، ويؤخذ من المسلمين ربع العشـــر(ابويوسف ، 1347 ، الريس ، 1985) وكانت من أهم الضرائب التي فرضت على التجارة الواردة إلى الشام في تلك الفترة.

أمـــا المكـــوس فهي ضريبة تفرض على التجار وتؤخذ على السلع الواردة و الصـــادرة الموجودة في الموانئ وكانت قيمته تتراوح بين 10% ـــ 25% من ثمن البضـــاعة ، وقد ذكر المقدسي أن هذه الضريبة كانت تفرض في مدينة القدس على الفنادق وإنها كانت ثقيلة(المقدسي ، 1906) .

وقد أشار خسرو إلى وجود مركزان في الشام يتوليان جمع هذه الضرائب هما مدينتي طرابلس وحلب اللتان يأتي إليهما التجار من كل أنحاء البلاد ويدفعون الضرائب على تجارتهم(خسرو ، 1965) .

ب ـــ ديـــوان الخراج(الخراج معناه : الشيء الذي يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم)، (ابن منظور ، 1956) .

كان الخراج يشكل أهم موارد بيت المال الفاطمي ، لذلك وجد له ديوان خاص مهمته جباية الأموال و إنفاقها في الوجوه المختلفة و المحاسبة عليها و تدقيقها، وكان الشخص الذي يتولى جباية هذه الأموال وإنفاقها في الوجوه المختلفة وإرسال الزائد منها إلى الخزينة المركزية في القاهرة يسمى صاحب الخراج أو متولي الخراج يساعده متولي الترتيب ويكون مسؤولا ً عن صرف الرواتب للموظفين والجنود(الصيرفي ، 1905 ، ابن مماتي ، 1943 ، المسبحي ، 1980 ، المقريزي ، 1991) .

ومن المرجح أن بعض الموظفين كانوا يساعدون عامل الخراج في الجباية(ماجد ، 1953) ، وقد ذكر المقريزي انه في بعض الأحيان يتولى الخراج في الشام كله موظف واحـــد دون أن يســـــاعده أي شخـــص في ذلك(المقريزي ، 1991) .

وقد أشار المسبحي إلى وجود ديوان للخراج في مدينة الرملة خلال تلك الفترة دون ذكر الأشخاص الذين تولوا أمره(المسبحي ، 1980) ، وقد وجدت إشارات في المصادر التاريخية إلى مجموعة من الأشخاص تولوا خراج الشام في العصر الفاطمي ومن هؤلاء

إبراهيم بن يوسف بن كلس الذي تولى خراج الشام زمن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي سنة (364 هـ/974 م)(المقريزي ، 1981) ، والوزير الحسن بن علي اليازوري الذي قام بتقدير الخراج في مصر و الشام سنة (447هـ/1055 م) فوجد خراج الشام يساوي مليون دينار مساوٍ لنفقات الولاية(المقريزي ، 1980) .

جـ ـ ديوان النظر (ديوان الشام) .

يعتبر من أهم الدواوين المالية في الدولة الفاطمية ، وكانت مهمـــته النظـــــر فـــي وجـــوه الأمـــوال المخـــتلفة والإشـــــتراف علـــى كـــل الدواويـــــــن المـــــــالـــية(ابـــن مماتي ، 1943 ، ابن الطوير ، 1992 ، القلقشندي ، 1987) ، وكان صاحبه يســمى ناظـــر الديوان وكان مسؤولاً عما يحدث في الديوان وعن جميع موظفيه ، وكان يحتفظ بسجل يشتمل على أسمائهم و ألقابهم ورتبهم و رواتبهم ، وكان له الحق فـــي تعيـــنهم وعزلهم كما كان يشرف على ميزانية الولاية فيقوم بالتدقيق بحساباتها المالية(الصيرفي ، 1905 ، ابن مماتي ، 1943 ، القلقشندي ،1948).

وقـــد تحدثـــت الكثير من المصادر عن بعض الأشخاص الذين تولوا أمر هذا الديـــوان ، نذكـــر مـــنهم : منشـــأ بن إبراهيم الفرار في خلافة العــــــزيز بالله سنـــــــة (380هـ/990 م) ، لكنه عزل فيما بعد لان المسلمين قدموا به شكاية إلى الخلـــيفة العزيز بالله وذلـــــك عندما أكثـــــر من استخدام اليهـــــود في هذه الدواوين(الروذراوري ، 1916 ، الصيرفي ، 1924، ابن القلانسي ، 1983) .

كما تولاه أبو طاهر محمود النحوي مرتين: الأولى زمن الخليفة العزيز بالله ، والثانية في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة(392هـ/1001م) ، لكنه قبض عليه وتم قتله بعد أن ساءت سيـــرته وكثر ظلمـــــه وتعسفه بأهـــل الشـــام(الصيرفي ، 1924 ، ابن القلانسي ، 1983) .

وتــولاه علــي بن احمد الضيف في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله لكنه عزل وتولى مكانه ابن الخطيب وذلك سنة (418هـ/1023م) ، وفيما بعد عزل بعد أن بالرشـــوة ليتـــولى بعده أبو طالب الغرابيـــلي سنـــة (419هـ/ 1024 م)(المسبحي ، 1980، المقريزي ، 1967) ، كما تولاه أبو عبد الله الحسين بن محمد الماشكي سنة (452هـ/1062 م) ، وفيما بعد استخدم الخليفة المستنصر بالله سديد الدولة ذي الكفاتين سنة (454هـ/1026 م)(المسبحي ، 1980) .

وقد استحدث الفاطميون وظيفة الزمام وذلك في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وكانت مهمة صاحبها تسجيل الحسابات المالية وتدقيقها بعد ضبط موارد المال ومن ثم إنفاقها في الوجوه المختلفة(المسبحي ، 1980) .

وقد أشار المسبحي إلى أن هذه الوظيفة وجدت في مدينة الرملة وان الزمام كان يأتي من القاهرة إلى الرملة وأحياناً يكون زمام واحد على والي الخراج وغيره على باقي الموظفين من الدواوين الأخرى(القلقشندي ، 1987)، وهذا دليل بحد ذاته على أنه كان ديوان الخراج أحد دواوين مدينة الرملة أيام الفاطميين ، واشهر من عرف في هذا الميدان أبو طالب الموقع الذي قدم إلى الرملة كزمام على عامـــل الخراج سنة(414هـ/1022م) ، وكان قبله في هذا المنصب عبيد الله بن يونس الزمام(القلقشندي ، 1987 ، المقريزي ، 1967) .

وافرد الفاطميون ديواناً خاصاً للجيش يهتم بتسجيل أسمائهم وترتيب أعطياهم ، وتحديد وظائفهم وأعمالهم(القلقشندي ، 1987 ، المقريزي ، 1967) ، وقد ظهرت أهمية هذا الديوان نتيجة لكثرة الجيش الفاطمي في الشام، وقد أشار المسبحي إلى وجود هذا الديوان في مدينة الرمله ، ومن الذين تولوا أمره أبو سعد الكاتب وذلك في خلافه الحاكم بأمر الله (المسبحي ، 1980).

لقد اختار الفاطميون لدواوينهم موظفين من أصحاب الخبرة فكانوا يدربـــــونهم على الأعمال الكتابية ويعقـــــدون لهم دورات خاصـــــة بذلك(الصيرفي ،1905، المقريزي ، 1980)، وجعلت الدولة لهولاء الموظفـــــين مراتب ودرجـــات تمـــيزهم عن غيرهم ، وتكفلت بتلبية مطالبهم وسد احتياجاتهم المادية ، فكانت تمنحهم المرتبات العالية إضافة إلى الهبـــات والخلع في المناسبات والأعياد ، كما كانت تقدم لهم الكســـــــاء والغذاء والعلاج(ابن القلانسي ، 1983 ، القلقشندي ، 1987) .

وقد أنيطت مسؤولية الدواوين بأشخاص من اتباع المذهب الإسماعيلي أو ممن يثق بهم الخليفة الفاطمي خصوصاً من كانوا من أصل ذمي، ومع هذا فقد أحتفظ الخليفة بحق متابعة الموظفين والعمال ، فيقوم بمحاسبتهم ومصادرة أموالهم إذا أحس منهم التقصير أو أشتكى منهم الناس أو حاولوا جمع الأموال والاعتداء على المال العام (المقريزي ، 1967) .

وبهذا فان مدينة القدس كانت ولاية تحتوي على جهاز إداري مناسب و منظم يخضع لرقابة الدولة الفاطمية ، سواء أكان ذلك في شؤون الإدارة السياسية أو المالية .

ثانياً : الجيش

اهتمت الدولة الفاطمية بالجيش وتنظيمه، وذلك لأنها كانت تسعى منذ البداية للقضاء على الخلافة العباسية والتصدي للخطر البيزنطي(العزام ، 1992) ، وقيام أي دولة يحتاج إلى وجود جيش منظم ، كما يحتاجه إستمراء وجودها الدفـــــاع عنها .

كانت عناصر الجيش الفاطمي تضم قبائل بربرية قادمة من المغرب مثل قبيلة كتامة وأبناء ا لقبائل الموالية لها(المسبحي ، 1983) ، وقد كثرت هذه العناصر في مدينة الرملة خلال الحكم الفاطمي لها وتم استخدامهم في الجيش ، وفيما بعد دخلت عناصر أخرى في الجيـــــش إضـــــــافة إلى البـــــربر وهي التـــــرك والد يلم(الصيرفي ، 1905 ، المقريزي ، 1967) .

كما استخدم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله جماعات من السودان في الجيش ، وكان هـــؤلاء يشكلون فرق المشـــــاة وكان سلاحـــــــهم من السيـــــــوف

والدروع(ابن القلانسي ، 1983 ، القلقشندي ، 1987 ، المقريزي ،1967) ، كما استخدمت جماعات من الأرمن ، والصقالبة والروم(المقريزي ، 1979) ، وهــؤلاء أحضرهم بدر الجمالي أثناء توليه للشام سنة (455هـ/1062 م) ، كما استنجد بهـــــم الخليفـــة المستنصر بالله عندما وقعت الفتنة بين الأتـــــراك والسودان في مصر(سرور ، 1973) .

وأشارت المراجع الحديثة إلى أن سبب اهتمام الفاطميين بإدخال عناصر جديدة إلى الجيش هو الحد من نفوذ المغاربة والسودانيين عن طريق جلب الأرقاء من الصقالبة والد يلم والروم ومن ثم تعليمهم الفنون الحربية حتى اصبحوا يشكلون قوة كبيرة في الجيش ، وأطلقوا عليهم اسم المشارقة تميزاً لهم عن المغـــــــــاربة(العزام ، 1992) .

وكان الجيــش الفاطمـــــي يتكـــــون من قسمــين هما(الصيرفي ، 1905 ، ماجد ، 1953)

1ــ الفرسان : وكان غالبيتهم من العنصر التركي .

2ــ المشاة وكانوا من السودانيين .

وقد استخدم الفاطميون التقسيم العشري أثناء توزيع المسؤوليات على الجند(القلقشندي ، 1987) ، فجعلوا لكل عشرة أفراد عريفاً، ولكل عشرة عر فاء نقيب، ولكل عشرة نقباء قائد، وعلى عشرة قواد أمير ، وكان على رأس الجنـــد مقـــدم للعســـــكر يكـــون القائـــد الأعلـــــى للجـــيش ويعـــرف بـــ (الاسفهسلار)(ابن القلانسي ، 1983، القلقشندي ، 1987 ، ماجد ، 1953) ، وكان الجيش يتكون من مرتبتين هما

1ــ مرتبة أرباب القضيب: وهم الذين يركبون في المواكب بالقضيب الفضة التي يخرجها لهم الخليفة من خزانة التجمل وتكون بأيديهم(القلقشندي ، 1987) .

2ــ الأمراء المطوقين : وهم الذين يخلع عليهم الخليفـــــة بأطواق ذهب(القلقشندي ، 1987 ، المقريزي ، 1976) .

ويحدد أرزاقهم وأعطياتهم ، ويحدد وظائفهم ، ويجهزهم بكل ما يحتاجونه من أسلحة وعتاد(ابن الطوير ، 1992 ، القلقشندي ، 1987) .

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن الولاة أنفسهم كانوا قادة عسكريين يجمعون بين الإدارة والقيادة (ابن القلانسي ، 1983) ، حتى أن بعضهم كان يتولى قيادة العساكر بأجمعها (ابن عساكر ، 1980)، ومن الأمثلة على ذلك تولي منجوتكين إمرة جيوش الشام سنة (381هـ/990 م)(ابن عساكر ، 1980) .

واعتاد الفاطميون تجهيز جيوشهم بكل ما يحتاجونه من الأسلحة ووسائل الدفاع والهجوم ، فكانت أسلحتهم من السيف والرماح والدروع (ابن القلانسي ، 1983 ، ابن الطوير ، 1992، القلقشندي ، 1987)، كما امتلك الجيش الفاطمي أسلحة وآلات حرب متعددة أهمها المجانيق(المجنيق هو آلة من آلات الحصار الثقيلة التي تستخدم لثقب الأسوار عن طريق إلقاء الحجارة عليها وإحداث فتحة فيها لتسهيل عملية سقوطها) ،(ابن منظور ، 1956) ، والنفاطات(النفاطات هي آلات تستخدم لرمي النار ، ويتولى هذه المهمة فرقة من الجيش تعرف بالنفاطيين تقوم بإعداد قوارير النفط لالقائها على العدو لمنعه من التقدم وإجباره على الاستسلام) (المقريزي ، 1980).

واهتم الفاطميون كثيراً بالجنود فعملوا على رعايتهم هم وأسرهم أثناء تواجدهم في الحرب ، وكانوا يمنحون الجنود اقطاعات من الأرض لقاء تقديم الخدمات العسكرية للدولة ، كما كانت تقدم لهم الأرزاق والكسوة في فصلي الشتاء والصيف(المقريزي ، 1980) .

وأشارت بعض المصادر إلى أن الخلفاء الفاطميين كانوا يتولون تحميس الجنود عن طريق إعطائهم الكثير من الأرزاق والمكافآت ، وإنفاق الكثير من الأموال على تدريبهم وتسليحهم، فمثلاً انفقت الدولة على الجيش المتوجه إلى الشام سنة(381هـ/991م) أكثر من مليون دينار(المقريزي ، 1980 ، ماجد ، 1953) .

وقد وجد ديوانٌ خاصٌ للجنود في مدينة الرملة يتولى الإنفاق والإشراف عليهم بينما يتولى والي المدينة قيادتهم في العمليات العسكرية(ابن ميسر ، 1980) .

أما بالنسبة لعدد الجيش الفاطمي في الشام فلم تتحدث المصادر عن ذلك سوى ما ذكره خسرو عن عدد الجيش الفاطمي في مدينة القدس التي كان يحرسها ألف

رجل(خسرو ، 1979) وربما هذا دليلاً واضحاً على مدى ضخامة الجيش الفاطمي في الشام خلال الفترة المذكوره .

ولم يستطع الفاطميون وقف اعتداءات الجيش الفاطمي عند قدومه إلى مدينة القدس أو منعه من الاعتداء على أهل المدينة، فكثرة العناصر التي تشكل منها الجيش الفاطمي والحرية التي منحها قادة العساكر الفاطمية لجنودهم كانت من أهم الأسباب في ذلك .

ثالثاً: القضاء

القضاء لغة هو الحكم ، والقاضي القاطع للأمور المحكم لها(ابن منظور ، 1956) ، أما اصطلاحاً فيعني الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي ، وقطعاً للتنازع (الماوردي ، 1960 ، ابن خلدون ، 1978) .

وكان يشترط فيمن يتقلد القضاء أن يكون مسلماً ، عاقلاً ، حراً ، عدلاً ، صحيح التمييز ، جيد الفطنة ، حسن السمع و البصر ، عالماً بالأحكام الشرعية(الماوردي ، 1960) .

أوكل الفاطميون منصب القضاء إلى قاضي القضاة في مدينة القاهرة ، وكان يتولى الإشراف على ما يتعلق بشؤون القضاء ، ويقوم بتعين نواباً له في جميع ولايات الدولة وفي بلاد الشام والمدن الساحلية(القلقشندي ، 1987) .

أما طريقة تعيين القضاة فتتم بأن يقدم الخليفة للقاضي بغلة شهباء يركبها تمييزاً له عن غيره من الموظفين ومن ثم تقدم له الهدايا في الأعياد والمناسبات(المقريزي ، 1967) ، ويعطى سيفاً محلى بالذهب ، ويقرأ سجله أمام الناس على منبر المسجد الجامع(ابن الطوير ، 1992 ، الذهبي ، 1989 ، المقريزي ، 1967) .

وكان قاضي القضاة في القاهرة يتولى قضاء الولايات في الشام والحجاز والمغرب(القلقشندي ،1987) وينظر في المظالم والأوقاف ودار الضرب(المقريزي ، 1967 ، ابو المحاسن ، 1979) ، ودار العيار(دار العيار هي دار تقام في سوق المدينة والهدف منها فحص الموازين والمكاييل للأكد من سلامتها ، وذلك بأن يكلف المحتسب التجار بإحظار موازينهم ومكاييلهم ليتم فحصها ، فإذا وجد فيها خللاً

ألزم صاحبها بإستبدالها) ، (ابن مماتي ، 1983 ، المقريزي ، 1980) ، وفيما بعد أضيفت إليه مهمة النظر في المواريث(متز ، 1967) ، كما كان يتولى تعيين قضاة الشام وعزلهم ، ولم تقتصر مهام القضاة على القضاء فقط وانما كانوا يتولون الصلاة والخطابة، والمظالم، والحسبة(المقريزي ، 1967 ، ابو المحاسن ، 1979) .

واهتم الفاطميون بمذهبهم الشيعي لذلك لجأوا إلى تعيين قضاة من المذهب الإسماعيلي الشيعي ، لكن فيما بعد حاولوا التخفيف من حدة كره أهالي الشام لهم وبالتالي استمالتهم خاصة أن الغالبية العظمى منهم كانوا على المذهب السني ، فقـــاموا بتعين قضـــاة الشـــام من أهل السنة كالشافعية، والمالكية، والأحناف(ابن القلانسي ، 1983 ، ابن عساكر ، 1956 ، السيوطي ، 1968) .

وقد اهتم الفاطميون بالقضاة فمنحوهم المرتبات العالية ، ودفعوا لهم الكثيــر من الأموال ، ووزعوا عليهم الثيـــاب حتى لا يكونوا عرضة لقبول الرشوة(الصيرفي ،1905) .

وكان القضاة يحتاجون إلى موظفين يقومون بتقديم المساعدة لهم حتى يتمكنوا من القيام بمهام القضاء على الوجه المطلوب ، فكان يساعد القاضي عادةً الجماعات التالية:

1ــ الفقهاء والعلماء : وهؤلاء يستنجد بهم القاضي إذا عجز عن حل مســـألة من المسائل الشرعية(المقريزي ، 1980 ، محاسنه ، 2001) .

2ــ الحجاب: وكانوا يقفون لمساعدة القاضي في جلب المتهمين لتنفيذ أحكام القضاء (المقريزي ، 1980 ، محاسنه ، 2001) .

3ــ الكتاب: وهؤلاء يكتبون ما يحدث في مجلس القاضي ويحفظـــــونه إلى حين النظر في القضايا(المقريزي ، 1980 ، ماجد ، 1953) .

4ــ الأعوان: وهم من الشرطة لمساعدة القاضي في جلب المتهمين وتنفيذ أحـــكام القضاء(الكندي ، 1959 ، ماجد ، 1953) .

5ــ الشهود: يختارهم القاضي لمعاونته في القضاء وكانوا يجلسون عن يمينــــــه وشماله ، وقد اهتم القضاة باختيار الشهود العدول بعد أن تفشت شهادة الزور ،

وكان القاضي هو الذي يختارهم ويعدلهم بنفســـــــه وكان يشترط لتعديل الشاهد أن يــكون عادلاً نزيــــــهاً ملماً بأحــــــكام الفقه ، وان يقوم بتزكيته عشــــرون شخـــصاً من الثقـــــات على أن يــــوافق الخليــــفة على ذلـــــــك(ابن عساكر ، 1987 ، ابن الطوير ، 1992 ، المقريزي ، 1980 ، ماجد ، 1953).

وكانت للشهود وظائف هامة تشتمل على :

1ـ مراجعة السجلات للتأكد من مطابقتها للشريعة الإسلامية .

2ـ تزكية الشهود الذين يشهدون عند القاضي .

3ـ الشهادة على ما يصدره القاضي من الأحكام غير المخالفة للشريعة الإسلامية .

وكان القضاة يجلسون للقضاء في المسجد الجامع أو في دورهم ، وكان القاضي يجلس في وسط المجلس مرتدياً زياً أبيض وهو شعار الشيعة ، ويضع على منكبيه الطيلسان الذي كان يرتديه قضاة مصر(ابن الطوير ، 1992 ، القلقشندي ، 1987) .

وكان القضاة في العصر الفاطمي يتقاضون أجورهم كل قاض على قدر مرتبته وذلك حتى لا يطمع القضاة بأموال الناس أو يظلمونهم وإبعاداً لهم عن الرشوة، فكان قاضي القضاة يتقاضى الفي دينار مغربي في الشهر(خسرو ، 1979) ، وربما هذا دليل واضح على ارتفاع أجور القضاة في العصر الفاطمي .

وفيما يلي أشهر قضاة القدس في العصر الفاطمي

1ـ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ، تولى قضاء الرمـــــلة في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم انتقل إلى مصر وتولى وزارة الفاطميين فيها ، مات مقتولاً في سنة (450هـ/1058م)(الحموي ، 1993) .

2ـ أبو القاسم سعد بن احمد بن محمد النسوي، ولد في بيت المقدس سنـــــــة (420هـ/1029م) ، وبقي قاضياً عليها حتى استشهد يوم دخل الإفرنج القدس سنة (492هـ/1990م) (ابن عساكر ، 1978)، فكان آخر قضاة الفاطميين في القدس .

3ـ أبو العباس بن علي الشريف الكباش، خرج من مصر ليتولى قضاء الرملة نيابة عن قاضيها أبو محمد بن العساف (المسبحي ، 1980) وهو مجهـول تاريخ الوفاة .

رابعاً: الشرطة

سموا بالشرطة لانهم كانت لديهم علامات خاصـــــة تميـــزهم عن غيــــرهم(ابن منظور ، 1985 ، اليوزبكي ، 1988) ، ويرتدون ملابس تميزهم عن بقية أفراد المجتمع(القلقشندي ، 1987) ، والشرطة إحدى الوظائف الدينية التي ترتبط مباشرة بالقضاء لأنها تساعد القاضي في تنفيذ أحـــكام القضــــاء واقامـــة الحـــــدود(ابن خلدون ، 1978 ، ماجد ، 1953) .

وقد استخدم الفاطميون الشرطة لحفظ الأمــــن والنظــــام في الدولــــــة(ابو المحاسن ، 1979 ، ابن القلانسي ، 1983) ، وتنفيذ أوامر الولاة وملاحــقة المتهمين بالجرائم وتقديمهم للقضاء وتنفيذ ما يصــــــدر عليهـــم من عقوبـــــات(ابن القلانسي ، 1983 ، ماجد ، 1953) .

وقد أشارت المصادر إلى أن بعض الخلفاء الفاطميين تولوا الإشراف بأنفسهم على أمن العاصمة كما فعل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي كان يتفقد أحوال الناس عن طريق رجال يثق بهم يكلفهم بهذه المهمة، وكان هؤلاء يمنعون تسلل اللصوص إلى المدينة عن طريق توفير الإضاءة ليـــــلاً في المتاجـــر والشوارع(ابن القلانسي ، 1983 ، المقريزي ، 1976) .

وكان صاحب الشرطة يساعده عدد من الرجال يتولون الطواف في الأسواق ليلاً لمنع وقوع أي اعتداءات على سكانها وحفظ أمن المدينة ، ويكون عددهم كبير جداً ليسهل عليهم القيام بالمهام المطلوبة ، وكان رجال الشرطة يحملون معهم المشاعل وهم يطوفون المدينة حتى يتمكنوا من إضاءة المدينة واكتشاف الجناة واللصوص(ابن القلانسي ، 1983 ، المقريزي ، 1967) .

خامساً: الحسبة

الحسبة لغةً حسن التدبير والمسارعة في طلب الأجر(ابن منظور ، 1956) ، أما في الاصطلاح فتعني الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهـــــر فعله(الماوردي ، 1960 ، الحنبلي ، 1966) ، فقال الله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعـــون

إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر "(سورة آل عمران ، آية 4) .

ويشترط فيمن يتولى الحسبة أن يكون رجلاً عفيفاً ، خيراً ، ورعاً ، عالماً ، عارفاً بالأمور ، فطناً ، لا يميل ولا يرتشي(الشيزري ، 1980) .

كانت الحسبة من الوظائف الدينية الهامة بالدولة الفاطمية ، فكان محتسب القاهرة يعينه الخليفة فيقوم بتعين نوابٍ له في جميع أنحاء الدولة كنواب حكم ، وكان محتسب الرملة يتبع لمحتسب القاهرة كغيره من محتسبي الشام(المقريزي ، 1980)، وكان يقدم له الخليفة الهدايا والخلع مع التعيين ويقرأ سجـــــله في المســـجد الجامع(القلقشندي ، 1987 ، ماجد ، 1953) .

وغالباً ما كانت وظيفة المحتسب تضاف إلى وظيفة القضاء وصاحب الشرطة ، بل إن القاضي كان يقوم بوظيفة المحتسب أحياناً (القلقشندي ، 1987 ، المقريزي ، 1967) .

أما واجبات المحتسب فكانت تشتمل على ما يلي

1ــ رعاية الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية ، وجعلها تســـير في إطار الشريعة الإسلامية ، ووفق الأخلاق الفاضلة والذوق السليم، فالمحتســـــب سهـــر على السلوك ويشرف على تأدية الفروض الدينية(الاندلسي ، 1975) .

2ــ تفقد الأسواق فيعمل على ضبطها وفحص المكاييل والأوزان ومتابعـــــة أي خلل فيها ، ويكافح الغش والتدليـــس التي يحـــدث بها ، ويضبط الأســـعار ويعـــاقب المتـــــجاوزين ، كما يمنع الضـــــــرر والضرار و أكـــل الربـــا(الاندلسي ، 1975 ، ابن الاخوة ، 1937 ، محاسنه ، 2001) ، كما يتولى النظـــر في دار السكة ويضبطها(الاندلسي ، 1975 ، المقريزي ، 1980) .

3ــ يحث على نظافة الصناعة وجودتها ، ويتدخل في الصناعات كلها لضمـــــان سيرها وتحقيق العدل والتفاهم بين أرباب الصناعة وصبيانهم ، كما يمنع الغـــش في المصنوعات أو إنتاج المصنوعات المحرمة (العزام ، 1992) .

4ــ يشرف على إصلاح البيوت وبنائها ، ويأمر بنظافة الطرق والحارات ، ويمنـــع الأحمال الزائدة رأفة بالحيوان(محاسنه ، 2001) .

5ــ مراقبة إقامة الشعائر والعبادات كالصلاة والصيام ومراقبة الأئمـــة والمؤذنين

أثناء القيام بوظائفهم(الماوردي ، 1960 ، محاسنه ، 2001) ، وكان يحافظ على الأخلاق من خلال منع وقوف الرجال قرب البيوت لان العزلة بين الجنسين كانت أساساً لقانون المجتمع(القبال ، 1971، العزام ، 1992) .

أقيمت للمحتسب دار في سوق المدينة عرفت (بدار العيار) بهدف فحص الموازين والمكاييل للتأكد من سلامتها ، فكان التجار يحضرون موازينهم ومكاييلهم للفحص فإذا وجد فيها أي خلل طلب منهم إصلاحـــــها على نفقتـــــهم الخاصـــــة(ابن مماتي ، 1943 ، المقريزي ، 1967) ، وبعد عام (383هـــ/3993م) اصدر الفاطميون قانوناً يمنع المحتسب من اخذ الأجر عند إصلاح الموازين ومعايرتها في دار العيار، ويسمح للتجار أنفسهم بأخذ ما يحتاجون من مكاييل واوزان حتى يمنع تغييرها والتلاعب بها(الشيزري ، 1980 ، ابن الاخوة ، 1937) .

وامتدت صلاحيات المحتسب في الدولة الفاطمية لتشمل تحديد نوع العقوبات على مرتكبي المخالفات ، فكان يتولى عقوبة التوبيخ والضرب بالسوط حسب كبر الذنب أو صغره (محاسنه ، 2001) ، كما امتلك عقوبة التعزير والتشهير، وذلك بان يركب المذنب حماراً ويطاف به في لأسواق وهو مجلل بلباس خاص ومكلل بالأجراس وأذناب الثعالب، حتى يكون عبرة لمن يريد ارتكاب المخالفات بعد ذلك(الماوردي ، 1960 ، الحنبلي ، 1966 ، المقريزي ، 1966) .

ومن محتسبي الرملة في العصر الفاطمي إبراهيم بن مهـــــران بن كوشاد(البغدادي ، 1984) ، ولم تتوفر أي معلومات أخرى في المصادر التاريخية عن أشخاص آخرون تولوا هذا المنصب خلال الحكم الفاطمي لمدينة الرملة .

الفصل الرابع

الحياة الإقتصادية والإجتماعية في القدس خلال العصر الفاطمي

أولاً: الحياة الإقتصادية

1ـ الزراعة

إعــتمدت مديــنة القــدس على الزراعة باعتبارها عنصراً من عناصر الحياة الاقتصادية ، وكان لموقع المدينة أثراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية ، فقد كان يؤمهــا الــتجار يحملــون إليها منتجات البلاد التي يأتون منها ، ويعودون محملين بمنتجات المدينة الزراعية والصناعية(ابن خرداذبة ، 1967 ، المقدسي ، 1906) .

واشــتملت المديــنة على أراضٍ واسعة خصبة اعتمدت على مياه الأمطار مما ساعد على كثرة منتجاتها الزراعية(خسرو ، 1979) .

ومن الطبيعي أن تتأثر الحياة الزراعية في القدس بالأحوال السياسية التي مرت بها المدينة ، فتعرضت لهجوم القرامطة في أواخر العهد الإخشيدي، وكان لقدومهم أثر سيئ على الزراعة لما قاموا به من أعمال السلب والنهب في المدينة ، فأصبحت الطرق الموصلة إلى القدس غير آمنة(ابن سعيد ، 1990 ، التنوخي ، 1972) ، وصاربعض المزارعين غير آمنين على أنفسهم ومزروعاتهم خارج المدينة .

وكان للأوضاع الداخلية اثر كبير في الحياة الزراعية فأمور المدينة لم تشهد استقراراً تاماً خلال الحكم الفاطمي لها ، مما جعل ظروف الحياة الأقتصادية عرضة للتقلب(ابن القلانسي ، 1983 ، المسبحي ، 1980) .

علــى الــرغم من ذلك فقد تحدث بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين عن بعض جوانــب النشاط الزراعي في مدينة القدس : فناصرخسرو (ت 481هـ/ 1088م) يقــول فــي وصــف المدينة :" وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها والزراعة وأشجار والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء ، والخيرات بها كثيرة ورخيصة ، وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف طن من زيت الزيتون ويحفظونها في

الآبـــار والأحواض ويصـــــــدرونها إلى أطراف المعمورة " (خسرو ،1979) .

وتحدث المقدسي (ت380هـ/990م) عن أهم المنتجات الزراعية المتوفرة في المديـــنة وهـــي : " العينوني والدوري وأجاص الكافوري وتين السباعي والدمشقي والقلقـــاس والخـــرنوب والعناب وقصب السكر والتفاح الشامي والرطب والزيتون والنيل والرأس والجوز واللوز والترمس والشهد ... "(المقدسي ، 1906).

أما إبن بطوطة (ت779هـ/1377م) فمدح خيراتها وأسواقها الحسنة ، وأشار إلى أشجار الزيتون التي تنتشر في المدينة على شكل غابات كثيفة(ابن بطوطة ،1982) .

وقال عنها الحموي (ت626هـ/1229م) :" إن المدينة من اكثر البلاد صهاريجاً ، وكثيرة الأشجار والنخيل ، وحولها الكثير من المـــــغارس والمـــــزارع "(الحموي ، 1997).

ويتضح مما تقدم مدى الازدهار الزراعي الذي وصلت إليه القدس خلال الحكم الفاطمي وكثرة المنتجات الزراعية التي كانت المدينة تصدرها إلى الخارج .

أ ــ الأراضي الزراعية

تتقسم الأراضي الزراعية في مدينة القدس إلى عدة أقسام هي

1ــ أراضي الخراج

الخراج : ما وقع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى إلى أصحابها ، ويكون حق معلوم على مساحة معلومة(الماوردي ، 1960) ، ويطبق هذا الإجراء على كافة الأراضي المفتوحة التي عدت وقفاً على الأمة ويعمل بها أهلها ويدفعون الخراج عنها لقاء استغلالها(بن جعفر ، 1981) .

والخراج نوعان(ابن رجب ، 1980)

أ ــ خراج مقاسمة : وهو ضريبة نسبية تؤخذ من محصول الأرض كالثلث والربع والخمس ، وتحدد هذه النسبة بالاتفاق بين الفلاح وصاحب الأرض ، وتكون واجب في المحصول الخارج من الأرض .

ب ــ خراج وظيفة : وهو عبارة عن مبلغ معين من المال يدفع سنوياً.

وتشتمل أرض الخراج على الأقسام التالية(ابو يوسف ، 1347 الماوردي ، 1960) :

1 ــ الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة ووقفها الخليفة على مصالح المسلمين .

2ــ الأراضي التي جلا عنها أهلها خوفاً من المسلمين فتصبح وقفاً للمسلمين ، ويوضع الخراج على من يسكنها أو ينتفع بها مسلماً كان أم ذمياً .

3ــ الأراضي التي أحياها المسلمون إن كانت أقرب الأراضي إليها خراجية كانت خراجية .

وقد اعتبرت أرض فلسطين أرضاً خراجـــية طـــوال العـــهد الإســـلامي(بن جعفر ، 1981 ، حسين ، 1978) .

2- أراضي العشر

هي كل أرض تعود ملكيتها للمسلمين ، أو انتقلت ملكيتها إليهم ، سواء أسلم أصحابهاعليها ، أو أقطعهم إياها الإمام ، أو تم شراؤها (الماوردي ، 1960)، وأشار البلاذري إلى أن أرض العشر هي ما جلا عنه أهله وأقطعه الإمام للمسلمين فأحيوه، أو كان مواتاً لا حق لأحد فيه فاحيوه بإذن الإمام ، أو ما استولى عليه المسلمون من الأعداء كأراضي الثغور(البلاذري ، 1983).

بيـــنما ذكر أبو يوسف أن أراضي العشر هي:" كل أرض أسلم عليها أهلها من أرض العرب أو العجم فهي لهم وهي أرض عشرية ، وكل أرض قسمها الإمام بين الغانمين فهي أرض عشر"(ابو يوسف ، 1347) .

3ــ أراضي الوقف

الوقف لغة : الحبس ويقصد تلك الأراضي أو المنشآت العقارية التي يخصصها المسلمون للإنفاق على الأعمال الخيرية مثل بناء المساجد والجوامع والمـــدارس والبيمـــارستانات و الإنفاق على الفقـــراء والمجـــاهدين(الفيروز ابادي ، 1985) .

وقد أشار ناصر خسرو إلى وجود أراضي للوقف في مدينة القدس تخصص للإنفاق على المستشفيات فيقول :" وفي بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديد من العلاج والدواء"(خسرو ، 1979 ، ص575) .

ب ــ المنتوجات الزراعية

كانت مدينة القدس من أخصب البلاد وأكثرها ملائمة للزراعة ، فكانت تجود في

وقد اشتهرت القدس بالكثير من الأسواق وكان لاصحاب كل حرفة سوق خاص بهم وحملت هذه الأسواق أسماء المهن والصناعات ، فكان هناك سوق للسراجين ، وسوق الحريرية ، وسوق الزيت ، وسوق المبيضين(لتبيض النحاس) ، وسوق للصباغة ، وسوق للصياقلة(لصقل السيوف)(أبو دمعة ، 1988) .

أنواع الصناعات في القدس

احتلت صناعات القدس مكانة هامة في العصر الفاطمي ، وقد أشاد بعض الرحالة المسلمين بتلك الصناعات وأثنوا على ما تنتجه مصانعها ، فالبلوي (ت 936 هـ/ 1529م) يتحدث عن وفرة الصناعات فيها فيقول :" وافرة الصنائع سابغة المدار فيها جنات من نخيل واعناب ..." (البلوي ، 1980) . وذكر ناصر خسرو أثناء زيارته للمدينة في القرن(4هـ/10م) كثرة الحرف والأسواق التي تحمل اسمها بقوله :" لكل واحد منهم حرفة معينة يقوم بها ولهم أسواق كل سوق يختص بسلعة معينة " (خسرو ، 1979 ، ص54) .

وكانت أهم الصناعات في مدينة القدس في العصر الفاطمي تشتمل على:

1ـ الصناعات النسيجية : إشتهرت القدس بصناعاتها النسيجية منذ أقدم العصور ، وأخذت هذه الصناعات تتطور مع مرور الزمن واشتملت على الصناعات القطنية والحريرية والصوفية ، فقد أنتجت أنواعاً دقيقة وأنيقة من المنسوجات الحريرية والصوفية التي كانت تصدر قسماً منها إلى الأسواق الخارجية(المقدسي، 1982،1906) .

2 ـ الصناعات الخشبية: استخدم أهالي القدس الأخشاب في كثير من الصناعات ، فكان النجارون يصنعون أدواتهم من أخشاب الصنوبر والسرو والسنديان ، كما استخدمت في الصناعة أشجار الجوز والزيتون وكانت جميعها متوفرة في غابات فلسطين(المقدسي ، 1906) .

وعرفت القدس في الفترة الفاطمية صناعة الأبواب والنوافذ التي تصنع من خشب الجوز لمتانته وبقائه مدة أطول ، ووجد في المدينة سوق خاص لصناعة الأدوات الخشبية عرف بسوق الخشابين(المقدسي ، 1906 ، ابن عساكر ، 1956) .

3 ـ الصناعات الكيماوية

مــن أهــم الصـــناعات الكيماوية التي عرفتها القدس خلال الفترة الفاطمية صناعة الصـــابون وهي من أقدم صناعات القدس وتحتاج إلى توفر الزيوت التي تدخل في صناعته ، وكانت المدينة مشهورة بإنتاج الزيوت من الزيتون والسمسم والذرة لذلك ازدهرت فيها هذه الصناعة(المقدسي ، 1906) .

أما الأصباغ فكانوا يصنعونها من العصـــــفر وقشــــور الرمان والحناء(الشيزري ، 1980 ، غوانمه ، 1982) ، وكان أكثر صــــباغي الثياب يصبغون في حوانيتهم ، فيخرج الصبغ بشكل جيد ، فإذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشراقه ، وكان أكثر الصباغين في القدس أيـــام الفاطمـــيين من اليهــــود والنصـــارى (خسرو ، 1979 ، المقدسي ، 1906) ، وهذا يعني تطور صناعة الصباغة في المدينة إلى درجة كبيرة .

أما صناعة الخمور فكانت أحد أنواع الصناعات الكيماوية المعروفة في مدينة القدس وكانت هذه الصناعة تتم بعصر الأعناب الموجودة في بساتين الكروم ، ثم إضافة بعض الزبيب إليه ثم تركه لفترة معينة حتى يشتد(كرد علي ، 1983) وكان نصارى قرى القس يتولون أمر هذه الصناعة(العزام ، 1992 ، غوانمه ، 1982) .

ونتيجة لانتشار هذه الصناعة في بلاد الشام والقدس في العصر الفاطمي فقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بمنعها واصدر مرسوماً يقضي بمنع بيع العنب واعتصاره ومعاقبة من يقوم بذلك ، وأراق جرار الخمر وقطع كروم العنب ، وكان يعاقب من يبيعه بكميات تزيد على ثلاثة أو أربعة أرطال (المقريزي ، 1967) .

4ـ الصناعات الغذائية: كانت تقوم على ما يتوفر من منتوجات زراعية ، فعرفت المدينة صناعة الأجبان والألبان نتيجة لتوفر الأغنام والابقار التـــــي تســــتورد من الـــدول المجاورة (المقدسي ، 1906) ، كما اشتهرت بصناعةالدبس الذي يصنع من ثمار بعض الأشجار كالعنب والتين والخوخ (المقدسي ، 1906).

وكانت تصنع أنواع مختلفة من مربيات الثمار وأنواع من الحلوى منها حلوى الخروب الذي يسمى (القبيط) ويصنعون الزلابية(المقدسي ، 1906) ، وهي نوع من الحلوى يدخل في صناعتها العسل واللوز والزيت (المقدسي ، 1906 ، الإدريسي ، 1989 ، غوانمه ، 1982) .

كما عرفت المدينة زراعة قصب السكر فانتشرت معاصره في أنحائها وازداد إنتاجه في القرن 4هـ/10م ، وكان يصدر قسماً منه إلى مصر والعراق(المقدسي ، 1906 ، حمارنه ، 1978) ، كما اشتهرت المدينة بتجفيف الثمار كالتين(القطين) والعنب(الزبيب)(خسرو ، 1979 ، المقدسي ، 1906) .

5ـ الصياغة : اشتهرت القدس بصياغة الذهب والفضة ، وتفنن الصاغة في إتقان هذه الصناعة ، وصاغوا الكثير من الجواهر وأقرطة الذهب المزينة بالياقوت ، إضافة إلى الخواتم والقلائد والأطواق والخلاخيل ، وكانت في المدينة أسواق لبيع المجوهرات سميت بأسواق الصاغة وكان اكثر العاملين فيها من اليهود والنصارى (المقدسي ، 1979).

6ـ الدباغة : عرفت المدينة دباغة الجلود ، فكان أهل القدس في العصر الفاطمي يصنعون الأحذية والسروج والمقاعد ، وكانت الجلود الخاصة بهذه الصناعة تدبغ في معمل يسمى طاحونة الدباغة ، ولهذه الصناعة ومنتجاتها سوق يعرف بسوق الأدميين، و كان أكثر العاملين فيه من اليهود(المقدسي ، 1906 ، كرد علي ، 1983).

وعليه فان الظروف الصعبة التي كانت تعيشها القدس في الفترة الفاطمية لم توقف أهلها عن العمل ، بل زادت نشاطهم لتوفير جميع حاجاتهم وزيادة الدخل لسد الكثير من النفقات ، فبقيت الصناعة نشيطة في أغلب الأحيان .

3 ـ التجارة

إحتلت القدس موقعاً متوسطاً على طريق التجارة العالمية بين الشرق وأوروبا وبين الجزيرة العربية وآسيا الصغرى ، وكانت لها علاقات تجارية مع مصر والعراق والحجاز(المقدسي ، 1906) .

كما كانت على اتصال بالمدن البحرية مثل طرابلس وعكا وايلة ويافا ، حيث ينقل التجار الشاميون إلى هذه المدن ما تحتاج إليه من أسواق القدس ، أو تحمل عبرها البضائع لتنقلها إلى أوروبا(المقدسي ، 1906 ، ابو الفداء ، 1840) .

ونشطت السياحة في القدس فكانت القدس في العصر الفاطمي مركزاً لاستقبال

الكثير من النصارى واليهود الذين يجتمعون في المدينة لزيارة الأماكن المقدسة والاحتفال بمواسمهم الدينية ، فتقام لهم الأسواق الخاصة التي تعود بالنفع على تجار المدينة ، وتكسب المدينة أهمية كبيرة(المقدسي ، 1906) .

ولقد اعتنى الفاطميون كثيراً بالتجارة لما لها من فائدة كبيرة فكانوا يأخذون عشر التجارة على البضائع التي تدخل إلى بلادهم أو تمر بها (المقدسي ، 1906)، مما ساعد على نشاط الحركة التجارية في مدينة القدس .

وصنف التجار في العصر الفاطمي إلى ثلاثة أنواع هي(الدمشقي ، 1973) :

1ـ الركاض : التاجر الذي يتعامل مع بلدان مختلفة ، ويحمل معه رقعة بأسعـــــار البلد الذي يريد العودة إليه ، ثم يضيف إلى ذلك نفقات النقل والمكوس ، وما يحتاج إليه من مؤن حتى يصل إلى محل بيعها ، ثم يقارن ذلك بالسعر الموجـــــــود في الرقعة الأولى ليتأكد من ربحه .

2ـ الخزان : هو التاجر الذي يشتري البضاعة عندما يكثر عرضها في الأسواق ، وتبقى عنده حتى يشتد الطلب عليها ويرتفع سعرها للحصول على أرباح كبيــرة .

3ـ المجهز : هو التاجر الذي لا ينتقل من بلد إلى أخر ، وانما يعتمد على الوكلاء الذين يرسل إليهم سلعة وينوبون عنه في بيع وشراء سلع أخرى يرسلونها إليـــه .

أـ الأسواق

إشتهرت مدينة القدس بأسواقها منذ القدم ، وكانت الأسواق خلال القرن 4هـ/ 10م مغطاة بسقوف من الخشب والطين ، أو مسقوفة بالحجارة ، فتمنع عمن يقصدها حر الصيف وبرد الشتاء والأمطار ، كما كانت هذه الأسواق مزودة بأرصفة للمشاة ، وأرصفة للركبان ، وبها حرس يطوفون في الليل لحمايتها من اللصوص .

وكان يوجد في المدينة سوق رئيسي للبلد يخترق المدينة وتتصل به أسواق فرعية متعددة ، وأطلق على هذا السوق اسم السوق الكبير ويبدأ من باب السلسلة إلى باب الخليل أي انه يبدأ من الحرم القدسي إلى قلعة بيت المقدس(المقدسي ، 1906) .

ب ـ التجارة الداخلية

أدت كثرة المنتجات الزراعية في مدينة القدس ، والسلع المختلفة التي ينتجها حرفيوها إلى اكتضاض أسواق المدينة ، وإقبال الناس عليها للبيع والشراء ، مما ساعد على ازدهار حركة التجارة الداخلية في المدينة .

أقيمت الأسواق على أبواب المدينة وكان تجار المدن والقرى المحيطة بالقدس يحملون السلع المتواجدة في الأسواق إلى مدنهم وقراهم(حتي ، 1957 ، أبو دمعة ، 1988) ، ويجلبون ما تحتاجه المدينة من منتجات مدنهم أو ما يصل إليها من الأسواق الخارجية خصوصاً من المدن الساحلية المتصلة مع أوروبا وشمال إفريقيا(ابن بطوطة ، 1982) .

وتركزت التجارة الداخلية في أسواق المدينة الرئيسية حيث يزدهر النشاط التجاري وتنشط عمليات البيع والشراء ، وكان أهم هذه الأسواق السوق الكبير(المقدسي ، 1906 ، متز ، 1967 ، غوانمه ، 1982) .

ويتصل بالسوق الكبير أسواق أخرى متخصصة تركزت بجوار المسجد الأقصى (مركز المدينة) من الجهة الغربية(المقدسي ، 1906) ، واشهر هذه الأسواق سوق الصفارين ، وكانت تباع فيه الأواني والأدوات النحاسية ، وسوق الأساكفة المعد لتصليح الأحذية وبيع النعال ، وسوق الشماعين ، وسوق الخشابين ، وسوق الصياقلة(المقدسي ، 1906 ، ابن بطوطة ، 1982) .

ونظمت أسواق المدينة على أساس الاختصاص فاصبح لكل تاجر شارع خاص به ، فلا تختلط تجارة بأخرى ولا يختلط أصحاب المهن بغيرهم(اليعقوبي ، 1891) .

وخضعت الأسواق لإشراف المحتسب الذي يشرف على الموازين والمكاييل ، وعلى البيع ونوعية الإنتاج ،كما كان يشرف على النقود المتداولة في الأسواق لمنع الغش والتلاعب بالنقد(بن عمر ، 1975 ، ابن الأخوة ، 1937) .

وسمح للتجار بإقامة تجمع يربط بينهم يشرف عليه رئيس التجار الذي يختارونه بأنفسهم(المقدسي ، 1906) .

وارتبطت القدس بعلاقات تجارية مع مدن الشام ، فيذكر المقدسي كثيراً من المنتجات التي تصدرها القدس إليها، فكانت تصدر الزيت والقطين والجبن

والصابون إلى كل من القاهرة ودمشق(ابن عبد ربه ، 1945 ، الشيزري ، 1980) ، وتستورد الحــبوب والعسل من عمان ، والسكر من الأغوار ، والفحم من عجلون ، والرمان من السلط(المقدسي ، 1906) ، ومن بيروت الحديد الذي يستخدم في كثير من الصناعات المعدنــية(ابــو الفــداء ، 1840 ، المقدســي ، 1906) ، ومن لبنان النحاس الذي يستخدم في صناعة الأدوات النحاسية (المقدسي ، 1906 ، الإدريسي ، 1989).

وممـــا تقدم يبدو أن حركة التبادل ونقل البضائع كانت نشيطة بين القدس ومدن الشام في العصر الفاطمي ، فكان التجار يأخذون ما يحتاجونه من أسواقها ، وينقلون إليها ما تحتاجه من بضائع ومنتجات .

ج ـ التجارة الخارجية

كانـــت للـــتجارة الخارجــية فوائد كثيرة لما تدره من عوائد مرور البضاعة الـــتجارية على أهل البلاد ، وكان المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عـــنه يأخذون العشور من التجار ، فكان التجار الأجانب يدفعون عشر قيمة البضائع الـــتجارية ، ويدفـــع أهـــل الذمـــة نصف العشر ، بينما يدفع التجار المسلمون ربع العشر(ابو يوسف ، 1947) ، وقد استمر هذا الإجراء حتى العصر الفاطمي .

وكانـــت للقـــدس في العصر الفاطمي علاقات تجارية نشيطة مع أوروبا عن طـــريق الموانئ الشامية والفلسطينية مثل طرابلس ، وصيدا ، وعكا ، ويافا وغزة ، حيث كان التجار يحملون إلى هذه الموانئ بضائع أوروبا التي يذهب كثيراً منها إلى القدس كالحديد والنحاس(كرد علي ، 1983 ، ابو دمعة ، 1988) .

وكانت القدس تستورد ما تحتاج إليه من البضائع والمنتجات الغير متوفرة في المناطق المحيطة بها ، فتستورد من دمشق الأرز والحليب والزجاج والمنسوجات والســـجاد(ابو الفداء ، 1840) ، والسكر من الأغوار، والفحم من عجلون ، والرمان من الســـلط(الإدريسي ، 1989 ، ابن بطوطة ، 1982) ، كما استوردت من مصر الثياب الفاخرة والحـــبوب وفـــي طليعتها القمح خاصة أثناء الأزمات والحروب التي تعرضت لها القدس في العصر الفاطمي(المقريزي ، 1980) .

وكانـــت القدس في القرن 4هـ/10م مركزاً مهماً من مراكز التجارة العالمية التي كانـــت تربط بين العالم الشرقي في الهند والصين ، وبين أوروبا عن طريق موانئ الـــبحر المتوسط الشامية ، فكان تجار القدس يقومون برحلات تجارية يحملون فيها منـــتجات بلادهـــم والبضـــائع التي جاءوا بها من أوروبا والهند والصين، ويعودون محملين بالسلع والبضائع التي تدر عليهم الأموال الكثيرة(المقدسي ، 1906) .

فمن الهند والصين جاءوا بالتوابل والأحجار الكريمة والصمغ العربي والقرنفل والقرفة وذلك عبر البحر الأحمر والخليج العربي ، وصدروا إلى هذه البلدان البلسم والزيت والصابون والمنسوجات الصوفية(ابن خرداذبة ، 1967) .

وأشـــار المقدســـي إلى أن القدس كانت تصدر إلى القاهرة والجزيرة العربية الزيـــت والصـــابون واللـــوز والجـــوز والجبـــن والفواكـــه، والى دمشق الزيتون والحبوب(المقدسي ، 1906) .

وكانـــت علاقـــة القدس بالجزيرة العربية نشيطة منذ العصور السابقة للإسلام خصوصـــاً مع الحجاز واليمن وذلك عبر مينائي ايلة(العقبة) ويافا ، فاستمر التجار ينقلون من القدس إلى هذه البلاد المنتجات والبضائع التي تحتاجها كالزيت والحبوب وبعض المنسوجات الصوفية(ابن خرداذبة ، 1967) .

د ـــ النقود

كانـــت النقود التي تم التعامل بها في العصرالإخشيدي هي نفسها النقود العباسية بإعتـــبار الدولـــة الإخشـــيدية إحـــدى الولايـــات العباســـية ، وكانوا يتعامـــــلون بالدينارالمنســـوب إلى الخليـــــفة الراضي(223-913هـــ / 934-941م)(المقدسي ، 1906 ، المقريزي ، 1980) .

وكانت هذه النقود تشبه النقود العباسية مع زيادة اسم الأمير الإخشيدي تحت اسم الخليفة العباسي(جوده ، 1986) .

وعندما سيطر القرامطة على مدينة الرملة إثر ضعف الإخشيديين قاموا بضرب الدراهم الفضية سنة(357هـــ/967م، وقد وجد درهم فضي قرمطي عليه اسم صالح من ضرب فلسطين وذلك سنة(358هـــ/968م) ، وعندما قدم الفاطميون بقي التعامل

بهذه النقود ، حيث كانت في الرملة داراً لسك النقود باعتبارها حاضرة فلسطين وقد استعملت هذه الدار طريقة الصب والضرب بالمطرقة على السندان، وأستمرت هذه الدار تؤدي وظيفتها في ضرب النقود حتى سقوط مدينة القدس بيد الإفرنـــج في سنة(492/1099م) (جوده ، 1986).

ولقد سك الفاطميون الدينار المغربي نســــبة إلى المعز لدين الله الفاطمي وحملت النقود الفاطمية على كل جهة من وجهيها ثلاثة دوائر داخل بعضها البعض ومنقوشة بينها بخط كوفي وعلى وجه واحد(لا إله الا الله)، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة ولقبه ، ومكان وتاريخ الضرب ، وقد ضربت هذه النقود في مدينة الرملة في عهـــــد الخليفـــة العزيز بالله (ابن ميسر ، 1980 ، الصليبي ، 1990) .

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر سنة(386/996م) دنانير تحمل أحد وجهيها الشهادة وعلى الوجه الآخر اسمه(شما ، 1980 ، جوده ، 1986)، كما أصدر الفاطميون في عهده دراهم جديدة حملت اسم (الدراهم النقرة) وكان ثلثا الدراهم من الفضة وثلثه من النحاس وقد أستعملت النقود لتسهيل التعـــــامل بالنســــــبة للسلع قليلة الثمـــن ، وهـــذه الـــــدراهم شـــاع استعمـــالها في بلاد الشـــــام في القـــرن5هـ/ ' 11م(المقدسي 1906 ، الشيزري ، 1980).

وفي سنة(425هـ/1033م) ضرب الفاطميون نقوداً نسبت إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وهي تشبه نقود الحاكم بأمر الله لكنها أكبـــر حجماً منها(الصليبي ، 1990)، وفي خلافة المستنصر بالله سك الفاطميون ثلاثة أنواع من النقـــود بتواريـــخ مختلفة(poolem ,1989).

أما طريقة نقش النقود فقد طرأ عليها تغيير في العصر الفاطمي وتأثرت بالطابع الديني والسياسي للدولة ، وأرتبطت العبارات التي تكتب على النقود بالمذهب الإسماعيلي الفاطمي ، فعلى أحد الوجهين كتب لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله ، وعلى الوجهه الآخر كتب اسم الخليفة الفاطمي وأحياناً اسم الوزير إلى جانبه أو اسم ولي العهد، كذلك يكتب تاريخ ضرب النقود واسم البلد الذي ضربت فيه(السيوطي ، 1968 ، المناوي ، 1981، الصليبي ، 1990).

وقد كانت قيمة النقود تتأثر بعوامل معينة مثل التآكل والغش الذي يؤدي إلى ضعف قيمتها الشرائية وإنخفاض سعر صرفها ، إضافة إلى تدخل بعض الخلفاء لتغيير مقادير العملة وتحديدها ممــــا يؤثر على قوتـــــها الشـــــرائية(المقريزي ، 1980 ، المناوي ، 1981) ، وفي حال إنتشار الغش والقرض في النقود تسحب هذه النقود الردئية من الأسواق وتستبدل بعملة أجود، وكان يقوم بهذه العملية الصيارفة وكان أكثرهم من اليهود والنصارى(المقدسي ، 1906).

هـ ــ المكاييل والأوزان

1ــ المكاييل

عرفت مدينة القدس في العصر الإسلامي أنواعاً متعددة من المكاييل لكيل الحبوب في معاملاتهم التجارية وغير التجارية وهي على النحو التالي

أــ مكيال شرعي يساوي أربعة أمداد أوخمسة أرطال وثلث رطل مدني أوثمانيــــة أرطال بغدادية(ابن منظور ، 1983) .

ب- المد : كان المد في بيت المقدس يساوي ثلثا قفيز ، القفيز يســـاوي أربــــع ويبات(المقدسي ، 1906) إذن فالمد يساوي 24 صاع(فالتر هنتس ، 1970) .

ج- القفيز : ذكر المقدسي أن القفيــتز الواحـــد في الرمــــلة يساوي أربــــع ويبات(المقدسي ، 1906) أي ثمانية مكاكيك ، وتساوي 24 كيلجة، كل كيلجة صـــاع ونصف ، إذن القفيز في الرملة يساوي 36صاع (العزام ، 19926).

د- الكيلجة : مكيال والجمع كيالج(ابن منظور ، 1956)، والكيلجة في الرملة تســـاوي صاعاً ونصف(المقدسي ، 1906 ، العزام ، 1992) .

هــ- الويبة: مكيال يستعمل في الرملة ويساوي مكوكان ، ومكوك الرملة كما أشير يساوي ثلاث كيالج أي أربع صيــعان ونصف ، إذن الويبة تـــساوي تســـعة صيعان(المقدسي ، 1906) .

و- الغرارة: مكيـــال دمشقي للحنـــطة وتســـاوي 204.5 كيـــلو غرام قمـــح(هنتس ، 1970) ، وكانت غرارة القدس تساوي 613.5 كيـــــلو غرام من القمح(هنتس،1979) .

2 ــ الاوزان

من أهم الأوزان الشائعة في مدينة القدس خلال العصور الإسلامية المختلفة ما يلي:

أــ القنطار: متعارف عليه في الشام ويساوي مائة رطل، وكانوا يزنون به زيت الزيتون(الشيزري ، 1946 ، غوانمه ، 1982).

ب ــ الرطل: يختلف وزن الرطل بين المدن الشامية ففي القدس والخليل يبلغ ثمانمئة درهم(ابن الأخوة ، 1937) ، وكان رطل الرملة يعادل 732 درهماً أي 2.331 كغم(هنتس ، 1970) .

ج ــ الأوقية: يختلف وزن الأوقية من مدينة إلى أخرى فأوقية القدس تساوي 66 درهماً أي ما يعادل 208.33غم(الشيرزي ، 1946 ، هنتس ، 1970 ، غوانمه ، 1982) .

دــ الدرهم : يذكر المقدسي أن الدرهم الشامي يساوي ستون حبة من الشعير(المقدسي ، 1906) ، ويكتنف الغموض وزن حبة الشعير إلا أن هنتس حاول ففسر ذلك بقوله:" فإذا انطلقنا من درهم الفضة زنة 2.9غم كان وزن الحبة 450غم ، وإذا انطلقنا من درهم الكيل زنة 3.15غم كان وزنه 25غم و يذكر المقدسي أن الدرهم الشامي يساوي ستون حبة من الشعير(المقدسي ، 1906) ، ويكتنف الغموض وزن حبة الشعير إلا أن هنتس حاول تفسير ذلك بقوله:" فإذا انطلقنا من درهم الفضة زنة 2.9غم كان وزن الحبة 0.0495غم ، وإذا انطلقنا من درهم الكيل زنة 3.15غم كان وزنها 0.0521غ" (هنتس ، 1970).

ثانياً: الحياة الإجتماعية

أــ فئات المجتمع

انقسم السكان في مدينة القدس أثناء الحكم الفاطمي لها إلى خاصة وعامة ، فالخاصة كانوا الأغنياء من التجار وأصحاب الأملاك والضياع الواسعة ، وهؤلاء تمتعوا باحترام المجتمع فكانت لهم مكانة إجتماعية كبيرة فكانوا يمتلكون البيوت ذات

الأثاث الفاخر(ابن القلانسي ، 1983 ، المقريزي ، 1967)، وتكونت العامة من الجماعات الفقيرة من الفلاحين والعمال وأصحاب المهن البسيطة .

وكانت فئات المجتمع في القدس في العصر الفاطمي تتكون من:

1ـ الوالي والموظفين: وهؤلاء تمتعوا بسلطات واسعة وامتيازات كثيرة فكانـــت الدولة تصرف لهم الرواتب وتقدم لهم الهدايا في المناسبات والأعياد ، وكان الوالي نائباً عن الخليفة ، وكانت فئة الموظفين تشمـــــل القاضي ، وصاحـــب الشرطة والكتاب وجباة الأموال(ابن القلانسي ، 1983 ، المقريزي ، 1967) .

2ـ العلماء والأدباء: برز في القدس خلال العصر الفاطمي عدد من العلمـــاء في مجالات متعددة ، فظهر أطباء مشاهير كان التميمي احدهم ، إضافة إلى المهندسين وعلماء الكيمياء والصيدلة والرياضيات(ابن القفطي ، 1975 ، الذهبي ، 1989) ، كما ظهر مجموعة من علماء الدين الاسلامي الذين تمتعوا بثقافة واسعة واقبلوا علـــى علوم القراءات والحديث ، وأكثروا في طلب العلم من خـــلال الرحـــــلات إلى البلاد الإسلامية لخدمة الدين الاسلامي(الذهبي ، 1985 ، ابن العماد ، 1989)، وقد حـــــرص هؤلاء على أن لا تتعارض علومهم مع الفقه الإسماعيلي خوفاً من الإصـــطدا م بالفاطميين ، كما وجد في القدس مجموعة من الأدباء والشـــــعراء الذين أعلنوا ولاءهم للسلطة الحاكمة فمدحوا الخلفاء والأمراء والوزراء (ابن خلكان، 1969) .

وقد تمتع العلماء والأدباء باحترام المجتمع وتقديره، واهتمام الخلفاء بهم وقد كانت لهم ملابس خاصـــــة تميـــــزهم عن بقيـــــة أفراد المجتمـــــع (المقريزي 1980 ، ابن حجر ، 1961)، وهي تتكون من الوشي والمقطعات وهي الجباب والقمصان والسراويل ، كما كانوا يلبسون الأردية الســـوداء والعمائم على رؤوسهم(الجاحظ ، 1988).

3- الفئة العامة: وتشمل العمال وأصحاب المهن والحرف المختلفة وكان لهـــؤلاء أسواق متخصصة بأنواع معينة من السلع والمنتجات وقد شكلت هذه الفئة غالبيـــة مجتمع القدس ، واتصف أفرادها بانهم من يمتلكون عيش الكفاف او قريبا من ذلك كما شملت المعدمين من الناس(ابن القلانسي ، 1983).

4- الفلاحون : وهم سكان الأرياف المحيطة بمدينة القدس من أصحاب الأعمال الزراعية والحرث ، وكانوا يعملون بالزراعة ويبيعون منتجاتهم في أسواق المدينة ويحصلون منها على ما يحتاجونه من بضائع ، فكانوا يعيشـــون عـــلى ما تنتجه الأرض من خيـــرات وغـــلات زراعيـــة (ابن الفقيه ، 1988).

وقد عانى الفلاح في العصر الفاطمي من أخطار الإعتداءات التي قامت بها جماعات متعددة من القرامطة عند غزوهم للقدس (ابن القلانسي ، 1983) ، واعتداءات الجنود الفاطميين الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب ، إضافة إلى الضرائب التي كانت تفرض عليهم (ابن القلانسي ، 1983).

5ـ أهل الذمة من اليهود والنصارى: كان عددهم محدوداً ، وكانت لـــهم محاكمهم الخاصة وأحياناً كانوا يحتكمون إلى القضاة المسلمين إذا كان أحد أطراف القضية من المسلمين(ابو يوسف ، 1347)، وكانوا يدفعون الجزية كلٌ حسب الطبقة التي ينتمي إليها اقتصاديا، فقد كانوا ثلاث طبقات منذ الفتوحات الاسلامية وهي: أهـل اليسار ويدفعون4 دنانير، ومتوسطو الحال ويدفعون دينارين ، والفقراء ويدفعــون ديناراً واحداً في العام (ابو يوسف ، 1347 ، الماوردي ، 1960).

وقد مارس هؤلاء الكثير من الصنائع ، فمنهم من كان يعمل بالصيرفة أو بالصياغة أو الكتابة ، وقد كان لهم دورٌ هامٌ في الحياة الصناعية في المدينة فقد أتقنوا الكثير من الصناعات والحرف ، وسيطر معظمهم على مصادر المال(المقدسي ، 1906 ، ابن القلانسي ، 1983 ، المقريزي ، 1967).

وقد أعلن هؤلاء ولاءهم للفاطميين فكسبوا رضاهم خاصة في عهد كل من المعز لدين الله والعزيز بالله والظاهر لاعزاز دين الله ، فاسندت إليهم الكثير من المراكز الهامة في المدينة .

ب ـ الملابس

كان مجتمع مدينة القدس كغيره من المجتمعات الشاميةله ملابسه وأزياؤه الخاصة فكان لكل فئة من فئات سكانه زيه الخاص ولباسه الذي يميزه عن غيره ، لان ملابس الشخص كانت تحدد مستواه الإقتصادي ومقدار دخله وإمكاناته المادية ،

فكانت ملابس العسكريين تختلف عن ملابس المدنين ، وملابس الأمراء تختلف عن ملابس العامة ، كما تختلف ملابس الأغنياء عن ملابس الفقراء(الجاحظ ، 1988 ، رشدي ، 1980) .

وقد إهتم أهالي القدس كثيراً بمظهرهم واعتنوا بجودة ملابسهم ، لذلك كانوا يرتادون الأسواق لشراء الملابس، وقد اتسمت ملابس المترفين من الناس بالفخامة ، و تتكون من سروال فضفاض وقميص ودراعة إضافة إلى سترة وعباءة وقلنسوة(رشدي ، 1980) .

أما لباس رجال الدولة وموظفوها فكانت الملابس الرسمية التي تصرفها الدولة لهم في جميع ولاياتها ، وكانت لديها خزانة خاصة بهذه الملابس عرفت بخزانة الكسوة وكانت مهمتها توزيع الملابس على أصحاب الوظائف في الصيف وفي الشتاء أو في المناسبات والأعياد (ابن الطوير ، 1982 ، القلقشندي ، 1987) .

وتكونت ملابس الأمراء والقادة من القماش المزركش إضافة إلى العمائم التي يلبسونها على رؤوسهم والتي تتكون من القماش المطرز بالذهب(المقريزي ، 1967 ، عوض الله ، 1979) .

وصممت ملابس الجيش لتناسب طبيعة عملهم وتسهل عليهم الحركة للقيام بالأعمال العسكرية ، فكانوا يلبسون ثياباً من الديباج المذهب، ويشدون أوساطهم بالأحزمة ، وتكون أكمام ملابسهم واسعة تناسب المهمات العسكرية (ابن القلانسي ، 1983 ، القلقشندي ، 1987) .

وكان للقضاة ملابسهم التي تميزهم عن غيرهم من الناس وكانت تتكون من العمائم والطيلسان(العبيدي ، 1985 ، عوض الله ، 1979) ، وتميزت عمامة القاضي بكبر حجمها تكريماً له على سائر الموظفين وكانت تحمل اللون الأخضر وهو شعار الدولة الفاطمية(المقريزي ، 1967 ، ابو المحاسن ، 1979) ، وتكونت ملابس المحتسب من جبة وعمامة مذهبة ، أما لباس خطباء المساجد فكان الجبة والبردة والطيلسان(المقريزي ، 1967) .

ولبس التجار الثياب الواسعة والعمائم المدورة ، أما أصحاب الحرف والصناعات

فكانوا يلبسون على رؤوسهم القلانس المصنوعة من الحرير أو الكتان، وعلى أجسامهم السراويل والقمصان الواسعة الأكمام لتسهل عليهم الحركة أثناء القيام بعملهم(المقدسي ، 1906 ، ابن سيدة ، 1973 ، المقريزي ، 1969) .

وكانت ملابس العامة تتكون من القمصان والطيالسة إضافة إلى العمائم والمآزر(الإصطخري ، 1973 ، ابن القلانسي ، 1983 ، العبيدي ، 1985)، وكان لسكان القدس لباس خاص في فصل الشتاء يسمى لباس الممطر وهو لباس من القماش المشمع ، والمطرف الذي كان يصنع من الخز(البلاذري ، 1936)، أما لباس القدم فكان الحذاء أو النعل(المقدسي ، 1906 ، المقريزي ، 1967) .

أما ملابس النساء فتكونت من العصائب الرقيقة وهي لباس الرأس، والسروال والغلالة وهي من المنسوجات الرقيقة وتلبس تحت الثياب ، كما تلبس المرأة قميصاً مشقوقاً عند الرقبة ، وفوق الثياب تلبس ملاءة فضفاضة تخفي كل جسدها(الشيزري ، 1946 ، العبيدي ، 1985 ، رشدي ، 1980) .

وقد امتازت نساء مدينة القدس عن غيرها من نساء فلسطين بلباس الرأس فالمرأة الأرستقراطية كانت لها غطاء رأس مرصع بالجواهر ومحلى بسلاسل الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة ، أما النساء الأقل منهن درجة فكان لباس الرأس عندهن حلية مطعمة من الذهب يلف حولها عصابة ، ويلبسن الخلاخل في أرجلهن والأساور في المعاصم والزنود(ابراهيم ، 1965) .

وكان لباس أهل الذمة يختلف عن لباس المسلمين ليسهل التعامل معهم ومراقبتهم كعناصر في المجتمع ، فكان اليهود يلبسون اللون الأصفر، بينما يلبس النصارى اللون الأزرق ، وقد أصدر الخلفاء الفاطميون أوامر تقضي بان يلبس الذمي الزنار في وسطه كالخيط ، وتشده المرأة فوق إزارها(ابن القلانسي ، 1983 ، القلقشندي ، 1987) ، كما تلبس المرأة خفين بلونين مختلفين أحدهما أبيض والآخر أسود، كما فرض على النصارى لبس العمائم السوداء والطيالس السود وأن يعلقوا في أعناقهم صلباناً من الخشب(المقريزي ، 1967 ، بن سعيد ، 1990) .

جـ ـ الطعام

كان أهالي الشام يعتنون بطعامهم ، ويهتمون بأنواع الأطعمة وطرق تحضيرها وكانوا يتناولون ثلاث وجبات في اليوم : أولها وجبة الإفطار وتتكون من الحليب الممزوج بالعسل أو الحليب والسكر ، أو من الجبن الأبيض الذي يقطعونه قطعاً صغيرة ويطلق عليه اسم القريشاء(القبرنيس)(كرد علي ، 1983) .

أما الوجبة الثانية فهي وجبة الغداء ويتناولونها عند الظهر ويعتبرونها الوجبة الرئيسية وتتكون من اللحم والخبز واللبن ، حيث يفت الخبز ويبل بالمرق ، ثم يوضع فوقه اللحم الذي يطبخ بالماء والملح أو مع بعض الخضراوات ، وقد تتكون الوجبة من الخبز والسمن أو الأرز والسمك(ابن عساكر ، 1956) .

وكان هذا طعام الأغنياء وميسوري الحال ، أما طعام الفقراء فكان يتكون من المضيرة والكشكية ، فالمضيرة عبارة عن مرقة تطبخ باللبن الحامض ، أما الكشكية فهي طعام يتكون من جريش القمح مع اللبن ويترك ليجف في الشمس ، ويعمل منه حساء وقد يطبخ مع اللحم أو الزيت(كرد علي ، 1983) .

ووجدت انواع معينة من الاطعمة تستخدم في اوقات معينة ومواسم معينة ، وكان اهمها الاقراص المعجونة بالسكر والدقيق والسميد ، (الحموي ، 1993) ، والكعك والسمن والفواكة اليابسة (الحموي ، 1993) .

وهناك اطعمة المناسبات التي عرفتها القدس مثل طعام العرس ، والعقيقة طعام سابع الولادة ، والاعذار وهو طعام الختان (ابن عبد ربه ، 1940) .

الحياة العلمية في القدس في العصر الفاطمي

أولاً: التعليم والمؤسسات التعليمية في مدينةالقدس

كان التعليم في العصر الفاطمي يمر عبر مرحلتين هما : الكتاب وتتم في الكتاتيب ، وطلب العلم ويكـــــون عـــــبر حلقـــــة أو مدرسة أو زاويـــــة (المقدسي ، 1906 ، البغدادي ، 1987).

أ ـــ الكتاب

هو أول مراحـــــل التعليم ، وكانت تسمـــــى الكتاب أو المكتـــــب(االبغدادي ، 1987 ، طلس ، 1975) ، وكان المعلم هو الذي يدرس فيها ويسمى (المكتب) أو(المؤدب) (البغدادي ، 1987) .

وقد أقيمت بعض الكتاتيب آلي جوار المساجد ، والبعض الآخر كان منفصلاً عنها ، وفي الحالتين كان يراعى أن يكون الطلاب بعيدين عن المصلين منعاً للإزعاج وما يسببونه لرواد المسجد(الشيزري ، 1946 ، شلبي ، 1987) .

وكان الكتاب يعلم الأطفال القران الكريم وما يتصل به من عـــــلوم اللغـــــة والأدب ، فيتعلمـــــون القـــــراءة والكتـــــابة والنحـــــو والحســـــاب(ابن خلدون ، 1978 ، شلبي ، 1987 ، طلس ، 1975) .

ولم يكن هناك سن محددة يبدأ عندها الأطفال بدخول الكتاتيب لتلقي العلم ، وكان الأمر متروكاً للأباء ، فان وجدوا الطفل بدا بالتمييزوالادراك أرسلوه إلى الكتاب لذلك كان يرسل الطفل إليها بين (5 ـــ7) سنوات(طوطح ، 1985) .

ويبقى الصبي في الكتاب لفترة غير محددة حتى يتم حفظ القرآن الكريم أو جزء منه وعلى الأغلب يستمر الطفل مع معلمه يتعلم القرآن حتى سن العاشرة ، وقد يبقى البعض إلى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة ، فإذا حفظ القرآن واكمل المرحـــلة

يقدم متحاناً في الكتابة وفيما حفظه من القرآن ، وكان امتحان إكمـــــال حفـــظ القرآن يسمـــــــى (الختمة) وبعدها تمنح إجازة الكتاب وتنتـــهي الدراســـة فيه(ابن الجزري ، 1932 ، طوطح ، 1985) .

كان الأغنياء وأعيان الناس يخصصون معلمين لتعليم أولادهم ، ويختارونهم من كبار الأدباء والعلماء ، وأطلق عليهم اسم المؤدبين ، وتمتع هؤلاء بمكانة طيبة لم يتمتع بها بقية معلمي الكتاتيب(الجاحظ ، 1988 ، البغدادي ، 1987) .

أما أجور معلمي الكتاتيب فكانت أجوراً شهرية أو سنوية ، وكانت أجوراً زهيدة قياساً لما كان يحصل عليه المؤدبون من أجور ومكافآت(القابسي ، 1968) .

وكانت الكتاتيب تعطل أيام الجمع والأعياد الدينية (كعيدي ا لفطر والأضحى) وإذا أهمل الطفل في دراسته جاز للمعلم معاقبتة على أن يبدأ بالنصح أولاً ثم العزل والتهديد وأن لم ينفع يضطر إلى معاقبتة بالضرب على ألا يكـــــون ضربـــاً مبرحاً ، وعهد لمحتســـــب المدينـــــة أن يشـــرف علـــــى هذا الأمر(ابن خلدون ، 1978 ، المقريزي ، 1980 ، طلس ، 1975) .

ومما تقدم يبدو أن الكتاتيب كانت بمثابة المدارس الابتدائية التي تعد الأطفال لمرحلة دراسية أعلى فيدخل من يتخرج من الكتاب حلقات العلم والدراسة إذا ما رغب التزود في العلم(المقدسي ، 1906) .

ب ــ طلب العلم

إذا اكمل الطفل دراسته في الكتاب و أراد متابعة الدراسة ينتقل إلى مكان آخر ومرحلة جديدة من مراحل الدراسة في الحلقة ، وجرت العادة أن تعقد حلقات العلم في المساجد ويتولى أمرها الشيوخ كلٌ حسب اختصاصه(المقدسي ، 1906) .

وكان الشيخ يجلس إلى جانب أحد أعمدة المسجد ، ويلتف الطلاب حـــــــوله على شكل حلقـــة ثم يقوم بإعطاء الــــدرس للطـــلبة في المجال الذي يختص به(الذهبي ، 1989 ، ابن الجزري ، 1932 ، السيوطي ، 1983) .

وقد شكلت علوم الدين أساس مواد الدراسة في حلقات المساجد خاصة علوم القران

كالقراءات والتفسير وعلوم الحديث والفقة ، إضافة إلى علـــوم اللغة والأدب(كرد علي ، 1983 ، عواد ، 1987) .

ولم يقتصر وجود الحلقات على المساجد وانما كان بعضها يعقد في منازل العلماء ودكاكين بيع الكتب ، واشتملت الحلقة على موضوع واحد واختص البعض الآخر على اكثر من موضوع ، وكانت منزلة الشيخ ومكانته يعتمدان على سعـــة علمـــه وقدرته علـــى إيصـــاله إلى طـــلابه الذين يجتمـــعون حولـــه(عواد 1987، شلبي ، 1985).

وكانت أساليب التدريس في الحلقة متنوعة فأحياناً تكون بالإملاء ، وأحياناً بالشرح والمناقشة (السيوطي ، 1983 , 1989 , makdisi).

وكانت مجالس الإملاء غالباً ما تعقد في أيام الجمع ، فيكون الإملاء من الكتب أو من الذاكرة ، وعندما تمتلئ المجالس بالطلاب يستعان بالمستملين الذين يشبهون اليوم المدرسين المساعدين ، وتكون مهمتهم إيصال ما يقوله الأستاذ إلى الطلاب البعيدين عنه (السيوطي ، 1983).

أما راتب شيخ الحلقة فلم يكن محدد من الدولة ولا من أي جهة أخرى ، وإنما كانت تقدم لهم الهبات والهدايا من أهل الخير والإحسان ، وقد يوقف بعضهم الأموال للإنفاق منها على الوجوه المختلفة(البغدادي ، 1987) .

وكان المسجد الأقصى يحتوي على مجموعة من الحلقات ، فكان الشيـــخ يجـــلس مستنداً إلـــى أحـــد الأعمـــدة ويلقـــي دروســـه على تلامـــيذه (الذهبي ، 1989 ، ابن الجزري ، 1932 ، السيوطي ، 1983) .

وكان المسجد الأقصى عامراً بالناس في الليل والنهار ، وفيه من الأئمة ومشايخ العلم وأهل الحديث ، وفيه حلقات لتدريس الطلبة منها حلقة للحنفية ، وحلقةللشافعية(المقدسي ، 1906 ، عباس ، 1968) وكانتفي المسجد حلقة لأبي بكر بن محمد الأندلسي المعروف بالطرطوشي، فكان طالبوا العلم يجتمعون حوله في موقع يقال له الغوير يقع بين باب الأسباط ومحراب زكريا ، كما كان يجلس في موقع آخر يقال له السكينة(ابن خلكان ، 1969 ، العليمي ، 1973) .

وقد أشار ابن العربي إلى أهمية مجلس الطرطوشي وتأثيره على طالبي العلم والمعرفة في القدس بقوله :" وانفتح لي على يديه اعظم أمل ، فاتخذت ببيت المقدس مبادئه ، والتزمت فيه القراءة لا اقبل على دنيا ، ولا اكلم انسياً ، نواصل الليل بالنهار ، خصوصاً بقبة باب السلسلة "(عباس ، 1968 ، ص80) .

كما أشارت المصادر إلى حلقة الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الذي اشتغل بالتدريس والإفتاء في القدس ، وكانت له زاوية يدرس بها عرفت بالزاوية النصرية ونسبت إليه(السبكي ، 1965 ، الذهبي ، 1985) ، وتقع هذه الزاوية في الحرم القدسي على باب الرحمة (العليمي ، 1973).

وكان الطلاب يلتحقون بحلقات الشيوخ بعد إتقان القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم ، واعتبرت هذه الحلقات بمثابة صفوف دراسية ، وهي حلقات تخصصية يلتحق الطلاب لتعلم الحديث وروايته أو تلقي أي علم آخر وروايته(كرد علي ، 1983) .

وكانت تعقد حلقات أخرى غير تخصصية يأتي إليها من يشاء من الناس ، وتحضرها أعداد كبيرة على عكس الحلقات التخصصية التي يكون عدد الطلاب فيها قليلاً (شلبي ، 1985).

كان التعليم في القرن 4هـ/10م يمر في مرحلتين ، كل مرحلة من هذه المراحل مؤسسة مستقلة عن الأخرى ، فالكتاب هو المؤسسة الأولى التي تعلم الطفل القراءة والكتابة والقران ، والحلقة وهي مرحلة تخصصية يدرس فيها الطالب علماً من العلوم في المسجد الجامع على يد شيخ من الشيوخ ، وهي المرحلة التـــي يتخرج منها الطالب متقناً العلم الذي درسه ليعمل فيما بعد مدرساً في مجال اختصاصه(القابسي ، 1968 ، ابن خلدون ، 1978) .

أما المدارس فكانت مؤسسة تعليمية مهمة تحتاج إلى توفر المال اللازم لإنفاقه على المدرسين والطلاب ، وقد ظهرت في أواخر القرن 4هـ/10م ، لكنها كانت بسيطة ويتولى الإنفاق عليها جماعات من أهل الخير ، ومع مرور الزمن تحولت إلى مدارس متطورة ، وكانت القدس من المدن التي ظهرت فيها المدارس في وقت مبكر(النعيمي ، 1951) .

ووجد في مدينة القدس في العصر الفاطمي مدرستان يتوليان التعليم هما :

1ـ المدرسة الحنفية : تدعى بمدرسة أبي عقبة وتقع بازاء قمامة(كنيسة القيامة) ، وكانت أهم مدارس القدس في العصر الفاطمي ، وكان مدرسها يدعـــــى القاضي الريحاني ، وكان يؤمها طلاب العلم لتلقي علــوم الحدث والفقه والأدب .

2ـ المدرسة الشافعية : تقع بباب الأسباط وكان يأتي إليها طلاب العلم لدراســــــة القران والحديث (عباس ، 1968)، وتولى التدريس فيها أبو الفضل عطاء بن محمد المقدسي(ت508هـ/1134م) فكان يدرس الحديث والفقه(عباس ، 1968) .

وتحدثت المراجع عن دار العلم التي أنشأها الفاطميون في بيت المقدس ، وكانت فرعاً لدار العلم الفاطمية في القاهرة ، وكان هدفها نشر المذهب الفاطمي في مدينة القدس .

ثانياً: العلوم الدينية

اعتنى المسلمون في بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي بالقرآن الكريم فاقبلوا على قراءته وحفظه ، ثم شجع على ذلك خلفاء بني أمية ، فظهرت في القرن الأول الهجري /السابع الميلادي طبقة من المعلمين الذين اهتموا بعلوم الديـــــن الإســـلامي كقراءة القرأن الكريم ، والحديث والفقه والسير والأخبار وغيـــــــرها(ابن كثير ، 1993 ، الشيرازي ، 1970) .

وفي العصر الفاطمي كثر القراء في مدينة القدس ، وكانوا يقرأون في المساجد خاصة في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة ، وتميز كثير منهم بإجادته القراءة وحسن الصوت .

أ ــ القراءات

كان المعلمون في مدينة القدس يقسمون طلابهم إلى عشرات ويجعلون على كل عشرة عريفاً يتولى قراءة القران الكريم على تلاميذه سورة سورة ، ثم يأمرهم بإعادة ما سمعوه وحفظه(ابن عساكر ، 1969 ، ابن الجزري ، 1932) .

اشتهر المسجد الأقصى بقراءة الأسباع وهي أن يقرا الجماعة سبعاً من القرأن الكريم بالتكرار خلف القارئ ، وذلك في مجلس واحد بعد صلاة الصبح ، واستمـــــر العمل بهذه القراءة من العصر الأموي حتـــــى العصـــــر الفاطمـــي(ابن عساكر ، 1969 ، ابن جبير ، 1964) .

عرف في مدينة القدس قراءة ابن عامر منذ العصر الراشدي ، وهذه القراءة منسوبة إلى عبد الله ابن عامر(هو عبد الله بن عامر الحميري ، تلقى علومه على كثير من الصحابة والتابعين ، وصار من كبار القراء، انتشرت قراءته بين أهل الشام) ، (الذهبي ، 1989 ، ابن الجزري ، 1932) وبقي أهل القدس يتبعون هذه القراءة حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، بعدها اشتهرت قراءة أبي عمرو(هو أبو عمرو بن العلاء التميمي(ت154هـ/772م) ، كان فقيهاً ، عالماً بعلم القراءات ، انتشرت قراءته في مدن الشام جميعها وخاصة في بيت المقدس) ،(ابن كثير ، 1993) إلى جانب قراءة ابن عامر .

وكان المقرئ يتقن إلى جانب القراءة الحديث أو الفقه أو التفسير أو الأدب ، لان هذه العلوم تكمل بعضها البعض ، ويحتاج إليها القارئ لإتقان القراءة ، وفهـــــم معاني الآيات القرآنية ، واستنباط الأحكام الشرعية بصورة سليمة (ابن كثير ، 1993 ، الشيرازي ، 1970).

وكان العلماء ينتقلون من مكان إلى أخر للسماع من الثقات والالتقاء بالشيوخ والدراسة على من هو أهل لأن يؤخذ عنه ، لذلك كثرت رحلات طلب العلم إلى البلدان الإسلامية المختلفة (البغدادي ، 1987 ، السبكي ، 1965).

ب ــ الفقه

كان الفقه من أهم الدراسات التي اهتم بها المسلمون ، ومنذ أن ظهرت المذاهب الفقهية صار العلماء يلتزمون المذهب الذي ينتمون اليه فيستنبطون الاحكت\ام على اساس مذاهبهم (ابن عساكر ، 1954 ، الشيزاري ، 1970) .

بعد قدوم الفاطميين الى القدس وجدوا ان استمرار نشاط الفقهاء يشكل خطـــــــرأ كبيراًعليهم نظراًمذهبهم الاسماعيلي عن المذاهب الفقهية في القدس وتعارضــــــه

معها ، لذلك حظر الفاطميون المذاهب غير الشيعية في المدينة ، فاكثرو من قضاة الشيعة ، فاختفى نشاط المذاهب الفقهية الاخرى في مدينة القدس (المقريزي ،1967) .

وفيما يلي أشهر فقهاء القدس في العصر الفاطمي

1ـ ابو سعد عبد الكريم بن منصور السمعاني ، فقيه شافعي المذهب ، له مـؤلفات أهمها: كتاب الذيل لتاريخ مدينة السلام ، وتحفة المسافر ، توفي في القدس(العليمي ، 1973) .

2ـ ابو الفضل عطاء المقدسي ، كان شيخ الصوفية طريقة وشيخ الشافعـية فقهاً وعلماً، أكثر من طلب العلم والرحلة ، بقي في القدس دارساً ومدرساًحتى وفاته في القدس(الأسنوي ،1978 ، العليمي ، 1973) .

على ضوء ما تقدم يبدو ان الاحداث التي تعرضت لها القدس والمذهب الاسماعيلي كان لهما اثر كبير على الحياة العلمية في المدينة ، لكن هذا التاثير لم يكن سلبياً انما ايجابياًففي علوم الفقه كان تاثير المذهب الاسماعيلي واضحاً عليها ، لان فيها معارضة للفاطميين ولكون القضاء جزاءاً من هذه العلوم فكان بيد أتباع المذهب الإسماعيلي (الذهبي ،1985 ، ابن القلانسي ، 1983 ، ابن الطوير ، 1992) .

الخاتمة

لعبت مدينة القدس أهمية كبيرة عبر العصور الإسلامية المختلفة ، فقد حظيت باهتمام جميع الخلفاء الذين تعاقبوا على حكمها سواء كانوا خلفاء أمويين أو عباســيين .

وفي العصر الفاطمي حاول الخلفاء الإستفادة من موقعها الجغرافي ووقوعها على طرق الموصلات التجارية لذلك حاولوا إخضاعها لسيطرتهم ، وفصلها عن الخلافة العباسية .

ومنذ قدوم الفاطميون للمدينة حاولوا الترويج لمذهبهم الإسماعيلي فأرادوا فرضه بالقوة على سكان المدينة فواجهوا الكثير من المتاعب لتحقيق ذلك ، لهذا بقي حكمهم ينقصه الكثير من الأستقرار بسبب معارضة أهل المدينة ومذهبهم المخالف . وبعد دخول الفاطميين للمدينة سنة(359هـ/969م) حاول أهل القدس مقاومتهم لإخراجهم من المدينة ، فتعاونوا مع أية جماعة للقضاء على الوجود الفاطمي في المدينة ، فتعاونوا مع القرامطة أكثر من مرة ، ثم عادوا فتعاونوا مع القبائل العربية في الشام كالمرداسيين في حلب والكلبيين في دمشق وذلك في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

ومن خلال التعرف على تاريخ القدس خلال العصر الفاطمي خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالي :

1ـ فشل الفاطميون في فرض المذهب الإسماعيلي على أهل القدس ، واستمــروا محافظين على مذهبهم السني ، واعتبروا الفاطميين دخلاء على مدينتهم .

2ـ حكم الفاطميين لمدينة القدس لم يستمر إلاَ لفترة قصيرة بسبب رفض السكان لهم و تطلع أكثر من قوَة سياسية لإمتلاك المدينة ، لذلك بقي حكمهم عليها ضعيفاً وينقصه الإستقرار.

3ـ كان للقبائل دور كبير في تشكيل عنصر المعارضة للوجود الفاطمي في المدينة

فقد تحالفوا مع أكثر من قوى سياسية لتحقيق ذلك ، ولم يتوقف أهل القدس عـــــن دعمهم وتشجيعهم على ذلك ، بل وقفوا إلى جانبهم واعتبروهم رمز التحدي الدائم للوجود الفاطمي الذي يمثله الوالي وحاميته العسكرية .

4ـ لم يهتم الفاطميون كثيراً بأحوال المدينة الإدارية فكان ينقصـــــــها الكثير من المؤسسات الإدارية التي تنظم شوؤنها ، وتركزَ إهتمامهم على الولايات الأخرى التابعة لحكمهم(القاهرة ودمشق) ، لذلك بقيت المدينة معزولة بعضـــاً من الوقت عن المدن الأخرى .

5ـ بالرغم من الأحداث السياسية التي مرت بها مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي لها إلاَ أن النشاط الإقتصادي لم يتوقف ، بل بقيت المدينة مركز الإنتاج الزراعي والصناعي ، فكان يؤمها التجار من مختلف أنحاء العالم ، لكن بدرجة أقـــل مما كانت عليه قبل الفتح الفاطمي لها .

6ـ تعرضت المدينة أثناء الحكم الفاطمي لها إلى اضطراب إجتماعي، فكثـــرت الأمراض والكوارث الطبيعية مما أثر كثيراً على النشاط الإقتصادي ، وهجـــرة الكثير من أهلها هرباً من الجوع والفقر .

7ـ شهدت المدينة حركة علمية وأدبية محدودة ، وظهر الكثير من الفقـــــــهاء والمحدثين والمؤرخين والأدباء الذين كانت لمنجزاتهم العلمية أثر كبير في تقـــدم المدينة الثقافي .

8ـ أثرت السياسة الدينية التي اتبعها الفاطميون مع أهل المدينة إلى انحســـــار الدراسات الفقهية نتيجة لمعارضة الفاطميين لها.

وبهذا بقيت مدينة القدس محتفظة بدورها التاريخي والحضاري ، على الرغم من وقوعها تحت حكم أكثر من قوةَ سياسية ، كما احتفظ أهلها بمذهبهم السني الذي شكَل بؤرة الصراع مع الفاطميين أصحاب المذهب الشيعي .

قائمة المراجع

أ ـ المراجع العربية

ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ، (1965) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، جـ2 ، ص 38ـ 546 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، (1978) ، الكامل في التاريخ مراجعة محمد يوسف الدقاق ، ط1 ، ج3 ، ص269 ، 318 ، جـ7 ، 32 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ،(1937) ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص80 ــ 170 ، دار الفنون ، كمبرج .

ابن إياس ، محمد بن أحمد ، (1984) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ1، ص191 ، جـ3 ، 112 ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد .

ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي ، (1982) ، تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأمصار المعروف بالرحلة ، جـ1 ، ص21 ، دار صادر ، بيروت .

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد ،(1964) ، الرحلة ، ص164 ، دار صادر ، بيروت .

ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد ، (1932) ، غاية النهاية في طبقات القرَاء ، ص48 ، مكتبة الخانجي بمصر ، القاهرة .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، (1992) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، جـ1 ، ص147 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ،(1979) ، فضائل القدس ، تحقيق جبرائيل سليمان ، جـ4 ، ص213 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ، (1961) ، رفع الأصـــــر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ، جــ2 ، ص207 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي ،(1962) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ص482 ، دار المعارف للنشر ، القاهرة .

ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عـــــبد الله ، (1967) ، المسالك والممالك ، ص46 ، مطبعة بريل ، ليدن .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ،(1988) ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبـــر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن والحواشي خليل شحادة ، مراجـــــعة سهيـــل زكار ، ط2 ، جــ4 ، 27 ، دار الفكر ، بيروت .

ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موســى ،(1953) ، المغرب في حلى المغرب ، القاهرة .

ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي،(1973) ، المخصَص ، المكتـب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

ابن شداد ، عز الدين بن علي ،(1965) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشـــام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي ، دمشق.

ابن الطوير ، أبو محمد عبد السلام بنالحسن القيسراني،(1992) ، نزهة المقلتـــين في أخبار الدولنين ، تحقيق أيمن فؤاد السيد ، دار صادر ، بيروت.

ابن ظافر الأزدي ، جمال الدين علي بن ظافر،(1972) ، أخبار الدول المنقطـــعة، تحقيق أندريه فرينيه ، ط1 ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ، القاهرة .

ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي(1945) ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيـد العريان ، دار الكتاب اللبناني .

ابن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد،(1418هــ) ، العواصم من القواصم فـــي تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي عليه السلام ، وزارة الشـــــــــؤون

الإسلامية ، الرياض .
ابن العديم ، كمال الدين،(1987) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، دار حسان، دمشق .
ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي(1954) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق .
ابن العماد ، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد الدمشقي،(1989) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق .
ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي ،(1966)، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة
ابن فضل الله العمري ،(1924) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي التميمي،(1983) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق .
ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء ،(1993) ، البداية والنهاية ، تحقيق التراث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ابن مماتي ، الأسعد ،(1943) ، كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عمر طوسون ، مطبعة مصر ، القاهرة.
ابن منجب الصيرفي ، علي بن منجب بن سليمان،(1924) ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق عبد الله مخلص ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة .
أبو شجاع ، محمد بن الحسين الوذراوري ،(1916) ، ذيل تجارب الأمم ، شركة التمدن الصناعية ، القاهرة .
أبو الفداء ، عماد الدين بن إسماعيل بن محمد ،(1997)، المختصر في أخبار البشر ، علق عليه محمود ديوب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي(د.ت) ، النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة .

أبو يعلى ، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ،(1966) ،الأحكام السلطانية ، تصحيح محمد حامد الفقي ، مكتبة مصطفى بابي الحلبي ، القاهرة .

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم ،(1347) ،الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي ،(1989) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط1، عالم الكتب ، بيروت .

الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم ،(1987) ، طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية بيروت.

البغدادي ، أبو بكر بن علي، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، (1984) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت .

البلاذري ، أحمد بن يحي بن جابر ،(1983) ، فتوح البلدان ، تحقيق التراث ، ط1 مكتبة الهلال ، بيروت .

بورشارد ،(1995) ، وصف الأرض المقدسة ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، عمان .

التطيلي ، بنيامين بن يونه النباري الأندلسي،(1949) ، رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة عزرا حداد ، دار ابن زيدون ، بغداد .

التنوخي ، أبو علي الحسن بن علي،(1972) ، نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، حمدون .

ثابت بن سنان،(1987) ، أخبار القرامطة ، تحقيق سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل،(1956) ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر،(1988) ، البيان والتبيين ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .

جاسر، شفيق ،(1990) تاريخ القدس ، ط1، دار الفكر العربي ، بيروت .

الجراعي ، تقي الدين أبو بكر بن زيد،(1981) ، تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد ، تحقيق طه الولي ، ط1، المكتب الإسلامي ، بيروت .

جوده ، صادق ،(1986)، مدينة الرملة منذ نشأتها حتى 1099م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.

الحسيني، صدر الدين علي ناصر،(1986)، زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق محمد نور الدين ، ط2 ، دار إقرأ ، بيروت .

حمارنه ، صالح ،(1978)، زراعة قصب السكر وصناعته عند العرب المسلمين ، ط1، دائرة الأثار العامة، عمان.

الحميري ، محمد بن عبد المنعم،(1975) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت .

الحياري، مصطفى،(1977)، الإمارة الطائية في بلاد الشام، وزارة الثقافة والشباب ، عمان.

الدباغ، مصطفى مراد، (1975)، بلادنا فلسطين ، ط1، رابطة الجامعيين ، الخليل .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،(1989) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دارالكتاب العربي ، بيروت .

الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان،(1960) ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي ، دار العلم ، القاهرة .

سبط بن الجوزي ، يوسف بن قزاوغلي،(1951) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق حنان جليل محمد الهولندي ، دائرة المعارف ، حيدرآباد ، الهند .

السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي،(1965) ، طبقات الشافعية الكبرى ،

تحقيق محمود محمد الطناجي ، مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .

سرور، محمد جمال الدين،(1970)، الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

سزكين ، فؤاد ،(1984)، تاريخ التراث العربي ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .

السيوطي ، جلال الدين،(1952) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محـــــي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

السيوطي ، أبو عبد الله شهاب الدين،(1982) ، اتحاف الأخصا بفضائـــــل المسجد الأقصى ، تحقيق أحمد رمضان ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتـــــاب ، القاهرة .

الشافعي ، محمد بن إدريس،(1961) ، الأم ، تحقيق محمد زهري النجار ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.

الشاعر ، محمد ،(1970)، جغرافية فلسطين العسكرية ،مطبعة الجيلاوي، القاهرة .

الشريقي ، إبراهيم ،(1985)، اورشليم أرض كنعان ، مؤسسة الدراسات الدولية ، لندن .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد، (1973) ، نيل الأوطار من أحـــاديث سيـــــد الأخيار ، دار الجليل ، بيروت .

الشيرازي ، أبو إسحاق الشافعي،(1970) ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت .

الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر،(1946) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك،(1982) ، الوافي بالوفيات ، فرانز شتاينر ، فيسبادن .

طلس ، محمد أسعد ،(1957)، التربية والتعليم في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت .

طوطح ، خليل ،(1923)، جغرافية فلسطين ، ط1 ، مطبعة بيت المقدس ، القدس .
الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين،(1894) ، زبدة كشف الممالك وبيـــــان الطرق والمسالك ، تصحيح بولس اوديس ، المطبعة الجمـــهورية ، باريـــــس .
العارف ، عارف ،(1955)، تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك ، ط1 ، مكتبة الأندلس ، القدس .
العسلي ، كامل ،(1981)، من آثارنا في فلسطين ، منشورات الجامعة الأردنيـــة ، عمان.
العليمي ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد،(1973) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجليل ، بيروت .
غازي ،خالد محمد ،(1998)، القدس سيرة مدينـــــة ، ط1 ، دار الهدى ، عمان .
غوانمه ، يوسف، (1989)، نيابة بيت المقدس في العصــــر الأيوبي ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي،(1959) ،تاريخ الفارقي ، تحقيـــق بدوي عبد اللطيف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة .
الفيروزأبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب،(1985) ، القامــــوس المحيط ، دار الجليل ، بيروت .
القابسي ، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القيرواني،(1968) ،الرسالة المفـصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، دار المعارف ، القاهرة .
قدامة بن جعفر البغدادي،(1981) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقــيق محمـــد بن حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، بغداد .
القرماني ، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي، أخبار الــدول وآثار الأول فـــي التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت.
القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود،(1960) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط1 ، دار صادر ، بيروت .
القلقشندي ، أحمد بن علي،(1987) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرحـــه

وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمـــية ، بيروت .
كرد علي ، محمـــــــــــــد ،(1983)، خطط الشام ، مكتبة النوري ، دمشق .
الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف،(1959) ، كتاب الولاة والقضاة ، تحقيق حسين نصار، دار صادر ، بيروت .
ماجد ، عبد المنعم ،(1953)، نظم الفاطميين ورسومهم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب،(1960) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ط2 ، مكتبة مصطفى الجلبي ، القاهرة .
محاسنه ، محمد ،(2001)، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمـــي ، ط1 ، دار الأوائل ، دمشق .
مدور ، مروان ،(1952)، الأرمن عبر التاريخ ، ط1 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
مرعشلي ، أحمد ،(1948)، الموسوعة الفلسطينية ، ط1 ، دمشق.
مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد،(1915) ، تجارب الأمم ، شـــركة التمــــــدن الصناعية ، القاهرة .
المعاضيدي ، خاشع ،(1976 الحياة السياسية في بلاد الشـــام في العصر الفاطمي ، دار الحرية ، بغداد .
المقدسي ، أبو محمود بن إبراهيم،(1964) ، مثير الغرام بفضـــائل القدس والشام ، تحقيق أحمد سامح الخالدي ، ياف .
المقدسي ، أبو عبد الرحمن هشام بن فهمي بن موسى،(2000) ، إتحـــاف الأنــــام بفضائل المسجد الأقصى والشام ، تقديم محمد محمود النجري ، ط1 ، جمـــعية إحياء التراث ، الكويت .
المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشَاري، (1906) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن .
المسبحي ، محمد بن عبيد الله، (1980) ، أخبار مصر في سنتين ، تحقيـــق وليــــم ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي،(1967) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين ا لخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .

مؤلف مجهول،(1974)، كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيـــق عمر السعيدي ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق .

المناوي ، محمد عبد الرؤوف بن علي،(1981) ، النقود والمكاييـــــل والأوزان ، تحقيق رجا محمود السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد .

ناصر خسرو ، ابو معين الدين القبادياني ، سفرنامة رحلة خسرو القبـــادياني ، نقلها إلى العربية يحيى الخشاب ، البنك الدولي للمعلومات .

نحال ، محمد سلامة ،(1966)، جغرافية فلسطين ، دار العـــلم للملايين ، بيروت .

النخيلي ، درويش ،(1979)، فتح الفاطميين للشام ، مؤســـسة الثقافة الجامـــعية ، الإسكندرية .

النعيمي ، عبد القادر بن محمد،(1951) ، الدارس في تاريـــخ المدارس ، مطبعـــة الترقي ، دمشق .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،(1985) ، نهـــاية الأرب في معرفـــة فنون الأدب، تحقيق محمد فوزي الغتيل ، المطـــــــــــبعة المصرية العامة للكتاب،القاهرة .

هنتس ، فالتر،(1970)، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان .

الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر،(1953) ، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل ، دمشق .

الهمذاني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب،(1974) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض .

الواقدي ، محمـــد بن عمر،(1985) ، فتوح الشام ، دار الجـــــليل ، بيروت .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله البغدادي،(1997) ، معجم البـــلدان ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت.

يحيى بن عمر الأندلسي،(1975) ،النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس .

يحيى بن سعيد الأنطاكي،(1990) ، تاريخ الأنطاكي ، صـــلة تاريخ أوتيخا ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، جروس بهرس ، طرابلس .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح،(1891) ، البلدان ، مطبعة بريل، ليدن .

اليعقوب ، محمد أحمد ،(1999)، ناحية القدس الشريف في القرن10هـ/6م ، ط1 ، منشورات البنك الأهلي ، عمان .

يوحنا فورزبورغ ،(1997)، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان .

اليوزبكي ، توفيق سلطان ،(1988)، دراســـــات في النظم العربية ، الموصل .

ب ـ المراجع الأجنبية

Lane, Poolem,(1984), Arab Coins Cairo ,Arab book shop,Cairo .

Makdisi, George ,(1981) , The Rise of colleges institutions of Learning in Islam And The west, Edinaburgh university .

قائمة الملاحق

1ـ ملحق(1) بالمختصرات العربية والأجنبية

ج	جزء
د.ط	دون طبعة
د.د	دون دار نشر
د.م	دون مكان
ص	صفحة
ق	قسم
مج	مجلد
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
Volum	vol

2ــ ملحق(2)

مصادر الدراسة

أــ المصادر العربية

1ــ كتاب (اخبار القرامطة) لثابت بن سنان ، اشتمل على معلومات تاريخية تتحدث عن القرامطة ، وعن الحروب التي نشبت بينهم وبين الفاطميين (بن سنان،1987) .

2ــ كتاب (ذيل تجارب الامم) لابي شجاع الروذاراوري ، احتوى الــــكتاب على معلومات تتعلق بالناحية الادارية في مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي خاصة فيما يتعلق بالدواوين والتنظيمات العسكرية (الروذراوري ، 1916) .

3ــ كتاب (تاريخ دمشق) لابن القلانسي ، وهو أديب ومؤرخ مشهور ، من أعيان دمشق ، عمل في ديوان الشام وأطلع على معلومات مفيدة عن الأحداث المتعــلقة بالقدس والنزاع الفاطمي ق\فيها ، وعن معلومات تتعلق بادارة المدينة (ابن القلانسي، 1983) .

وتضمنت رحلة ابن جبير(ت614هت/1217م) ، ورحلة ابن بطوطة(ت779 هــ/1377م) والتي تسمى (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) معلومات مفيدة عن الحياة الإقتصادية في المدينة وعن أهم المنتجات الزراعية والصناعية فيها خلال القرن4هــ/10م(ابن جبير ، 1964 ، ابن بطوطة ، 1982) .

كما أضافت كتب الرحالة الأجانب معلومات قيمة عن جغرافيــــة المدينــــــة وميــاهها ومن أهم هذه الكتب رحلة بورشارد المسماة وصف الأرض المقدسة (بورشارد ، 1995) ورحلة يوحنا فورزبورغ والتي تحمــــل اسم وصف الأراضي المقدسة في فلسطين (فورزبورغ ، 1997) .

وتعد كتب الموسوعات ذات قيمة تاريخية أفادت الدراسة لماتحتويه من معلومات سياسية وإقتصادية وثقافية تخص الفترة المذكورة ، مثل كـــــتــاب (نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب) للنويري(ت732هــ/1332م) ، وكتاب(مسالك الأبصار في

ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري (ت749هـ/1349م) ، وكتاب(صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) للقلقشندي (ت821هـ/1418م) .

فكتاب نهاية الأرب تضمن معلومات تتعلق بالقرامطة وغزوهم للمدينة على أثر الفتح الفاطمي لها(النويري ، 1985) ، واشتمل كتاب مسالك الأبصار على معلومات جغرافية مفيدة تتعلق بتضاريس المدينة ومياهها(العمري ، 1924) .

بينما تضمَن كتاب صبح الأعشى معلومات ذات فائدة أكبر ، فكان يستـــــقي معلوماته من ابن الطوير المعاصر للفترة الفاطمية ، فتحدث عن النواحي الجغرافية والإقتصادية وأشار إلى أهم المنتجات الزراعية في المدينة (القلقشندي ، 1987) .

واشتمل الكتاب على معلومات تتعلق بالناحية العسكرية وأهم الأسلحـــــــة التـــــي استخدمها الجيش الفاطمي ، ومعلومات عن ا لإدارة الفاطمية لمدينـــة القدس(القلقشندي ، 1987) .

اما المراجع الحديثة فقد اشتملت على معلومات أفادت فترة الدراســــة مثل كتاب(خطط الشام) لمحمد كرد علي ، والذي تحدث عن منتجات القدس الزراعية ، كما ذكر أهم الصناعات في المدينة خلال القرن4هـ/10م(كرد علي ، 1983) .

واشتمل كتاب محمد سرور (الدولة الفاطمية في مصر) على معلومات تتعلق بالتنظيمات الأدارية عند الفاطميين في القدس خاصة الدواوين والتنظيـــــمات العســكرية كما تضمن إشارة إلى بعض الأعياد والمناسبات التي اقامها الفاطميون في القدس(سرور ، 1970) .